الجمهـــورية الجـــزائرية الديمقـــراطية الشعبـــية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــم العـــالي والبحـــث العلـــمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جـامعة غليـــزان
Université de Relizane

كلية الآداب واللغات
faculty of Letters and Languages
RELIZANE UNIVERSITY

جامعة غليزان
RELIZANE UNIVERSITY

كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر الموسومة بـــــ:

أصول النظرية اللسانية التداولية في الدرس العربي

التخصص: لسانيات عامة

إعداد الطالب(ين)/ تين:

آية فطيمة زهرة زناتي
بشرى بوشاقور

إشراف الدكتورة:

نورية لعرباوي

لجنة المناقشة:

1-أ/	د. يوسف بن زحاف	جامعة غليزان	رئيسا
2-أ/	د. نورية لعرباوي	جامعة غليزان	مشرفا ومقررا
3-أ/	د. فاطمة مقدم	جامعة غليزان	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1445/1444هـ

2024 -2023م

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[سورة الإسراء :85]

شكر وتقدير

نحمد الله تعالى أنّه وفقنا لإتمام هذا العمل

المتواضع ونتقدم بجزيل الشكر وكامل التقدير إلى الأستاذة المشرفة

الدكتورة "**عرباوي نورية**".

كمَا لا ننسَّى شكر أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة وتقييم هذا البحث

كما نتقدم بالشكر إلى كل من أسهم في إنجاز هذا البحث من الذين أمدونا

بيد العون والتأييد

آيـــــة و بـــــشرى

إهـــداء

الحمد لله حبًا و شكرًا وامتنانًا على البدء والختام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين بعد تعب ومشقة دامت خمس سنوات في سبيل الحلم والعلم حملت في طياتها أمنيات الليالي ، وأصبح عنائي اليوم للعين قرة ، ها أنا اليوم اقف على عتبة تخرجي أقطف ثمار تعبي وأرفع قبعتي بكل فخر

فاللّهم لك الحمد قبل أن ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضاء لأنك وفقتني على إتمام هذا النجاح وتحقيق حلمي...

وبكل حب احدي ثمرة نجاحي وتخرجي

إلى الذي زين إسمي بأجمل الألقاب، من دعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل إلى من علمني أن الدنيا كفاح وسلاحها العلم والمعرفة، داعِمِي الأول في مسيرتي وسندي وقوتي وملاذي بعد الله فخري وإعتزازي **والدي**.

إلى من جعل الله الجنة تحت اقدامها ، وإحتضنتني قلبها قبل يديها وسهلت لي الشَّدائد بدعائها، إلى القلب الحنون والشمعة التي كانت لي في الليالي المظلمات ونجاحي جدتي **والدتي**.

إلى إخوتي: مُحَمَّد الأمين وعبد الله أتمنى لهم النجاح والتوفيق وكل السعادة

نقدم جزيل الشكر والإمتنان الى الأستاذة الفاضلة المشرفة **عرباوي نورية** على ما بذلته من جهد وإخلاص في تصحيح وتقويم هذا العمل.

بوشاقور بشرى

إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أعّز ما أملك في هذا الكون:

والديَّ الكريمين منبع الحُب والحنان متمنيةً لهمَّا بركة العمر والصحة والعافية.

إلى **جدتي** بارك الله في عمرها، إلى **جدي** رحمه الله.

إلى وردتي الغالية **عمتي** أطيّب وأحَّن إنسانة هي أمي الثانية.

إلى كل صديقاتي من أعرفه ومن يعرفني

إلى من تجمعني بهم رابطة الأخوة والدم الواحد : **شهيناز ، مُحَّد ،ليلى ، إيناس و سيرين.**

إلى كل من الأساتذة الذين كان لهم الفضل في تكويني وتعليمي

إلى كل من ساعدني وساندني في إنجاز هذا البحث.

زناتي آية فطيمة زهرة

مقدمة عامة

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

عرفت الدراسات اللسانية تطورًا ملحوظًا في السنوات الأخيرة وذلك بعد مراجعة اللسانيين لعديد من المبادئ اللسانية التي ظلت مهيمنة لسنوات كإقصاء المرجع من الدراسة وكان ذلك نتيجة تأثر اللغويين ببعض الفلاسفة الذين غيروا نظرة اللسانيين للغة نتيجة لهذا التطور ظهر ما يعرف بنظرية التداولية في الدرس اللساني.

وتعد التداولية منهج لساني جديد في حقل الدراسات اللسانية عُني من خلالها الباحثون بدراسة اللغة حال استعمالها، وإدراج مقاصد المتكلم بوصفه طرفًا في الخطاب ويمتلك سلطة القول في:التحليل اللساني، وكذلك بالقصدية بإعتبارها منطقة تجمع بين المتكّلم والسامع، وكذلك تُعنى بدراسة استعمال اللغة في السياق، وتهتم أيضا بالمعنى، وببعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها.

حيث عرف القدامى العرب فكرة التداولية وناقشوها في معهود خطابهم، واهتموا بمظاهر لغوية انبثقت من سياقات الاستعمال اللغوي في مستوى التخاطب وعُني بها اللغويون وعلماء البلاغة والمنطق وغيرهم، في ضوء هذا تقوم الدراسة هذه بتتبع المبادئ النظرية التداولية والإجرائية في الدراسات العربية القديمة منذ نشأتها لبيان تصور نظري عنها وفق التطورات التي مرت بهذا، ثم توضيح موقف القدامى في معهود الخطاب العربي عن التداولية وعناصرها التي ذكرها المعاصرون الغربيون، والتطرق إلى التفكير التداولي لديهم كالجاحظ وعبد القاهر الجرجاني وسيبويه وابن قتيبة وقد توصلت الدراسة إلى أن ثمة إشارات لدى اللغويين القدامى تحدثت عن المعرفة اللغوية والمعرفة الخطابية والمعرفة

اللسانية وهي من أهم عناصر التداولية عند اللغويين والغربيين فيزخر تراثنا اللغوي العربي بتطبيقات استُثمِرت فيها نظريات ومفاهيم تداولية على غرار ظاهر "أفعال الكلام "، وقد دُرست ضمن مباحث علم المعاني – الخبر والإنشاء- من قبل النحويين والبلاغيين، وذلك أن التراث في مجمله يهتم بدراسة المعنى وعلاقته بالواقع وظروف إنتاجه مثل قصد المتكلم وأحوال المخاطبين.

ويرجع إختيارنا لهذا الموضوع إلى عدة أسباب وهي:

لقد كان الهدف من الدراسة هو رصد الأبعاد التداولية في الخطاب اللغوي القديم وذلك بالوقوف على بعض النماذج الدالة على هذه الأبعاد في مبحث النحو والبلاغة والنقد وإستقصاء النظرية التداولية للدارسين العرب القدامى والوقوف على أبعاد تحليلية التداولي المبني على مراعاة السياق اللغوي للخطاب وما يحيط به من ظروف وملامسات بُغية كشف ما يرمي إليه الخطاب.

وفي ضوء هذا الطرح جاءت دراستنا للإجابة على الإشكالية الآتية:

- أين تتبدى ملامح الدرس التداولي في الدراسات اللغوية العربية القديمة؟
- كيف تظهر المعالجة التداولية للخطاب في تلك الدراسات؟

أقتضى من هذا البحث تقسيمه إلى: مقدمة وفصلين وتتلوها خاتمة فكان موضوع الفصل الأول عنوانه بـــ: الإطار النظري للبحث التداولي، وتطرقنا فيه إلى مفهوم اللغوي والإصطلاحي للتداولية، والروافد المعرفية للنظرية التداولية، ونظرية الأفعال الكلامية، والعلائق المعرفية للتداولية، أما

الفصل الثاني فعنوناه بـ: مظاهر الدرس التداولي في الدرس اللغوي، وتطرقنا فيه إلى: الدرس التداولي في النحو والبلاغة وخطاب النقدي وختمنا بحثنا بمجموعة من النتائج.

وقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج الوصفي لتتبع مفاهيم مصطلحات الدرس التداولي ومصطلحات الدرس النحوي والبلاغي أما المنهج التاريخي فكان اللجوء إليه في عرض تطورات الدرس التداولي.

وفيما يخص المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث متنوعة نظرًا لطبيعة الموضوع المختار، والتي كانت بالنسبة لنا اليد المساعدة في وصولنا إلى أجوبة اشكالنا للبحث ونذكر منها:

مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بن زحاف يوسف: دروس في اللسانيات التداولية.

رغم المجهودات التي بذلناها في انجاز هذا العمل إلا أنه واجهتنا العديد من الصعوبات أهمها: إتساع الدرس التداولي بسبب تعدد مصادره المعرفية، صعوبة الحصول على المراجع من الجامعة، قلة إمكانيات للذهاب إلى جامعات أخرى من أجل البحث عن المراجع.

ولكن الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا البحث وتغلبنا على كل الصعوبات التي واجهتنا. وفي الأخير نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل أستاذة كلية الآداب ونخص بالذكر أستاذتنا المشرفة " عرباوي نورية" ونسأل الله عزَّوجل أن يجازيها خير الجزاء على تحملها عناء الإشراف ونتقدم بالشكر للأستاذ "بن زحاف يوسف" والحمد لله كثيرا مباركا فيه.

آية وبشرى: 12-02-2024.

الفصل الأول:

إطار النظري لدرس التداولي

- مفهوم اللغوي والإصطلاحي للتداولية.
- الروافد المعرفية للنظرية التداولية.
- الأفعال الكلامية.
- العلائق المعرفية للتداولية.

تمهيد

تعد التداولية منهج دراسي حديث، التي ظهرت في ساحة الدراسات اللغوية، وذلك بعد العصور التي وضعت فيه تلك الدراسات التي أهملت الجانب التداولي للغة وركزت على البنية، الأمر الذي جعل اللسانيين يعيدون النظر في طبيعة الدراسة اللغوية وآلياتها الإجرائية ولكن قبل التطرق إلى موضوعات هذا العلم، يجدر بنا الوقوف على مفاهيم ومصطلحات هذه المدرسة، ليتسنى تتبع ورصد مبادئ هذه المدرسة.

1- المفهوم اللغوي والإصطلاحي للتداولية:

أ- المفهوم اللغوي:

يرجع مصطلح التداولية في أصله العربي إلى الجذر اللغوي (الدوال) وله معاني مختلفة، لكنها لا تخرج عن معاني التّحول والتبّدل، فقد ورد في معجم أساس البلاغة الزمخشري(ت 538هـ) : "دول: دالت له الدولة، ودالت الأيام، بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم، جعل الكثرة لهم عليه... وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأُديل المشركين على المسلمين يوم أحد... والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم...وتداولوا الشيء بينهم، والماضي يداول بين قدميه، يراوح بينهما"[1]

[1] مُحَمَّد باسل عيون السود، أساس البلاغة، منشورات دار الكتب العلمية بيروت،ط1، 1998م، ج1، ص 303.

وجاء لسان العرب لابن منظور: " تداولنا الأمر، أخذناه بالدّول وقالو دواليك أي مداولة على الأمر...ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاوزناه فعمل هذا مرة وهذا مرة"[1].

فالملاحظ على المعاجم العربية أنّها لا تكاد تخرج في دلالتها للجذر " دول" على معاني: التحّول والتبّدل والإنتّقال، سواء من مكان إلى آخر من حال إلى أخرى، مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التّحول والتّغيير والتبدّل والتّناقل " وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم، إلى حال أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس، يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتًا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى الذرائعية، والنغميّة، السّياقية"[2].

ب- مفهوم مصطلح التداولية «Pragmatique»:

شهدت الدراسات اللسانية تحولات جذرية في الحقل المفاهيمي، فينما اهتم اللسانيون بالبنى اللغوية من حيث التركيب والدلالة، ظهر مصطلح جديد يحيل إلى رؤية خاصة للغة، إنّه مصطلح "التداولية"، يقول " طه عبد الرحمان": " وقد وقع اختيارنا مند 1970م على مصطلح التداوليات"[3] مقابلا للمصطلح " براغماتيقا"، لأنه يوفي المطلوب حقه بإعتبار دلالته على معنيين " الاستعمال والتفاعل"

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد 11، ط3، 1994، ص 253- 252.

[2] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص 148.

[3] الطاهر يوصيف، التداولية، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 17 جانفي 2006ص6.

معا " ويحيل هذا المصطلح إلى كل ما هو مادي محسوس مطابق للحقيقة، غير أن هذا المصطلح «Pragmatique» مازال يَشُوبه بعض الغموض، لذا ينبغي توضيحه أكثر لتبين مجالاته، ولعل هذا الثبوت لمصطلح التداولية هو الذي جعل الباحث المغربي " طه عبد الرحمان" يستحدث مفهوم " المجال التداولي" في ترجمته لمصطلح «Pragmatique» يقول في توصيفه للفعل "تداول": تداول النّاس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس وأداروه بينهم ومن المعروف أيضا أن مفهوم النقل والدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة، فيقال: " نقل الكلام عن قائليه" بمعنى رواه عنه" ويقال دار على الألسن بمعنى جَرَى عليها...فالنقل والدّوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل وفي استخدامها التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين...فيكون التداول جامعًا بين اثنين هما: التّواصل والتّفاعل فمقتضى التداول إذن أن يكون القول موصولاً بالفعل"[1].

يخلص الباحث الى كون مجال التّداول يحمل معنى التّواصل بين المخاطبين والتّفاعل فيما بينهم، ومقتضاه أن يكون القول المتلفظ به موصولا بفعل إجرائي، وهذه المدلولات اللغوية للفعل تدّاول وارتباطه المباشر بالممارسة التراثية، هو ما جعل الباحثين يتلقونه بالقبول حينما وضع " طه عبد الرحمان" " التداوليات" مقابلا للمصطلح الأجنبي «Pragmatique» سنة 1970[2].

[1] تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء، ط2 ص 244.

[2] طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص27 .

وهناك ترجمات أخرى لمصطلح مثل البراغماتية والنفعية والذرائعية، و " يعود أصل تسمية " البراغماتية" أو– الذرائعية الجديدة– إلى منظري السيماء مثل تشارلز موريس، وتشالز ساندرز بيرس، وجون ديوي، على وجه خصوص وتختلف دلالاتها حسب الحقل الذي نبعت منه: كالفلسفة واللسانيات، والإتصال..."[1] فالذرائعية أقرب إلى مصطلح الأدبي منه إلى اللغوي، مع الانتباه إلى عدم الخلط بين التداولية والمذهب البراغماتي Pragmatique هو المذهب الفلسفي الذي يحبّذ على كل ما له أهمية للبشر، ويجتنب البحث في القضايا المطلقة المجردة.

استعمل مصطلح Pragmatique في اللاتينية Pragmatians وفي الإغريقية Pragmaticos بمعنى " عملي" وقد ارتبط توظيفه في العصر الحديث في بداية ظهوره بالفلسفة الأمريكية " البراغماتية" لكن في اللغة العربية يجب أن نفرق بين مصطلح " التداولية" والذي نقصد هذا الإتجاه اللغوي الجديد الذي يُغني بقضايا الاستعمال اللغوي، ويقابله المصطلح الفرنسي pragmatique والبراغماتية أو ما يترجم بالذرائعية أو النفعية أو غيرها كمذهب فلسفي تجريبي عملي، تجاوز المذهب العقلاني وطور الاتجاه التجريبي، لا تقوم على معاني عقلية ثابتة أو تصورات قبلية، ترتبط بالواقع التجريبي، تحاول أن تفسر الفكرة ليس بمقتضياتها العقلية أو الحسية، بل بتتبع واقتفاء أثر نتائجها " العملية" ويقابلها مصطلح pragmatique ومن روادها " ويليام جيمس و"جون ديوي " و"شيكر" غيرهم.

[1] حفناوي بعلي: التداولية ... البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 17،جانفي 2006، ص 59.

يقول عبد الملك مرتاض: "وقد اصطنع في العربية النقدية المعاصر على أنّه "تداولية" في حين أنَّا نشك في أنه كذلك بهذه الصّفة التي ورد عليها، في أصل الاستعمال الغربي، لأن صيغة هذا الاستعمال(progmatics /pragmatique) لا تدل على وجود ياء النزعة المعرفية(عملية أو فلسفية أو أدبية) والتي يطلق عليها النحاة العرب بغير إقناع " الياء الصناعية" فالأجانب يصطنعون صيغة أخرى لما يقابل هذه الياء أو اللاحقة الثنائية على الأصح " يه" (pragmatism /pragmatisme) فكيف نترجم نحن العرب مفهومين اثنين في أصليهما بصفة عربية واحدة؟...ولذلك نقترح أن نطلق على مقابل المفهوم الأول " التداول" (أي تداول اللغة)...، وعلى مفهوم آخر المنصرف إلى النزعة المذهبية: " التداولية" وذلك حتى نُطوّع العربية"[1].

ونتيجة لتعدد منطلقاتها واختلافاتها في الدراسة التداولية حدث نوع من التداخل بين حقولها وحقول أخرى، أدّى إلى التنوع التسميات، وبالخصوص في ترجمتها في اللغة العربية، ومنه نلاحظ أن مصطلح " التداولية" قد ارتبط باتجاهين مختلفين [2]:

- **الأول**: يهتم بالجانب الاستعمالي للغة في السياقات المختلفة فيحاول تجاوز الطرح المتوارث للبنية اللغوية من أجل الكشف عن الوظيفة العملية للغة.
- **الثاني**: منطلقه فلسفي، يحاول بحث القضايا المعرفية من خلال آثارها العملية.

[1] تداولية اللغة بين الدلالية والسياق، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، العدد 10، 2005 ص 66-67.

[2] فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1986 ص 8.

انتقل البحث اللساني من الدراسة التي تخلص للنظام اللساني " langue" من دي سوسير Saussure إلى تشومسكي "chomsky " إلى دراسة لسانية ترتكز على التوجه الإتصالي والوظيفي في الكلام Parole والاستعمال اللغوي، فـ " الجوانب التداولية للغة تتعلق بخصائص استعمالها للحوافز النفسية للمتكلمين، ردود فعل المخاطبين، النوع المجتمعي للخطاب، موضوع الخطاب...الخ بالمقابل للجانب لنحوي الخواص الشكلية للأبنية اللسانية والدلالية والعلاقة بين الكيانات اللسانية والعالم".[1]

فإذا كان علم التراكيب يهتم بعلاقة الأدلة فيما بينها أي العلاقات الداخلية بين الألفاظ، وكان علم الدلالة يعالج علاقة الأدلة بالواقع أو علاقة الألفاظ بالعالم الخارجي، فإنّ مصطلح التداولية تعددت تعريفاته وان كانت جميعها تصب في دراسة اللغة في الاستعمال.

وأقدم تعريف للتداولية جاء به " تشارلز موريس" " C.mouris" سنة 1938 وهي في نظره " تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملينها"[2] غير أنه تعريف يشتمل اللسانيات والسيميائيات على حد السواء، كما أنه يتجاوز المجال الإنساني إلى الحيواني والآلي.

وهناك تعريف لساني أخرى ماري دييرMarie Diller " وفرانسوا ريكاناتي" Récanaté François" فقد اقترحا تعريفًا آخر وهو أن التداولية هي " دراسة استعمال اللغة في الخطاب

[1] Jean dubois et des autres, dictionnaire de linguistique, libraire laross, Parie 1973,p 388.

[2] فرانسواز أرمينكو، مرجع سابق، ص 8.

شاهدة على ذلك مقدرتها الخطابية" [1] ذلك أن التداولية تحاول الكشف عن المقدرة الإبلاغية التي تحققها العبارة اللغوية، وتدرس بذلك دلالة اللغة في الاستعمال، فإذا أردنا أن نحلل هذا القول من أجل الوقوف على المقصود من هذا الحد فإننا سنسجل النقاط الآتية:

- التداولية علم يهتم بدراسة اللغة الإنسانية في الاستعمال.
- تسعى التداولية إلى الكشف في المقدرة الإبلاغية التي تحققها العبارة اللغوية.
- التداولية بحث في الدلالات التي تفيدها اللغة في الاستعمال.

الفيلسوف المغربي "طه عبد الرحمان"، أول من أدخلها إلى الثقافة العربية، تختّص بوصف كل" ما كان مظهرًا من مظاهر التّواصل والتّفاعل بين صانعي التراث من عامّة النّاس وخاصتهم...، فالمقصود في "مجال التداول" في التجربة التراثية، هو إذن محلّ التّواصل والتّفاعل بين صانعي التراث.[2]

تسعى التداولية الى دراسة الاستعمال اللغوي في لاتصال اللساني وفق معطيات سياقية واجتماعية معينة، وتكمن أهميتها في كونها تهتم " بإيجاد القوانين الكلية للإستعمال والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية من ثم جديرة بأن تسمى علم الإستعمال

[1] فرانسواز أرمينكوا، المرجع نفسه،ص 8.

[2] طه عبد الرحمان، مرجع سبق ذكره، ص 244.

اللغوي"[1] كما أنها تبحث في "كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى المتكلم" ومن هنا فإنّ مفهوم التداولية يتعدى حدود البنية اللغوية، لتبحث في الأقوال والعلاقة بين المتخاطبين في سياق محدد، فتدرس العناصر الذاتية في الخطاب كالضمائر والمبهمات الزمانية والمكانية كما تدرس التلميح والتصريح وكذلك القوانين التي تضبط الخطاب والحجاج، وتحاول التداولية اعطاء تفسيرات دقيقة حول كيفيات انتاج القول وتفسير مقاصده وغاياته.

والتداولية عند اوستن "Austen" جزء من علم أهم هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الإجتماعي، وبهذا المفهوم ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر،هو المستوى الإجتماعي في نطاق التأثير والتأثر [2]، فالتداولية تدرس الاتصال اللغوي في إطاره الإجتماعي، بالكشف عن الشروط والمعطيات التي تسهم في انتاج الفعل اللغوي من جهة، كما تبحث في فاعليته وآثاره العملية من الجهة الأخرى.

وفي هذا الإطار يقول صلاح فضل: " فالتداولية إذن تّعني بالشروط والقواعد اللازمة الملائمة بين الأفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به، أي العلاقة بين النص والسياق"[3].

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء الغرب: دراسة التداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار المطبعة للطباعة والنشر ببيروت لبنان، الطبقة الأولى 2005، ص 15.

[2] فرانسواز أرمينكو، مرجع سبق ذكره، ص 8.

[3] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2005 ص 15.

الروافد المعرفية للنظرية التداولية (النشأة) :

ليس من اليسير التأريخ لنشأة التداولية تأريخا دقيقا وموضوعيا، ذلك أنها نشأت إثر عميقة وطويلة في مسار الدرس اللساني الحديث المعاصر، ولكننا نستطيع أن نشير إلى ملامح الفترة التي ميّزت هذه النشأة إنها فترة تميّزت بنشأة ما يسمى " العلوم المعرفية" أعني: علم النفس واللسانيات وفلسفة العقل والذكاء الإصطناعي وعلوم الأعصاب، ردّا على التّيار السلوكي الذي كان يكتسح الساحة الأمريكية قبل منتصف القرن العشرين وقد كانت تهدف إلى توضيح كيفية استعمال العقل/الدماغ، وبيان كيف أن العقل البشري خصوصا يكتسب معارف ويطوّرها ويستعملها اعتمادا،من جملة ما يعتمد، على الحالة الذهنية، وهي الفترة التي شهدت ظهور أولى مقالات " نعوم تشومسكي ""Noam chomsky " وجورج ميلو " George miller" وآلان نيوال " Allen Newell"، وهربت سيمون " Herbert Simon"، و مافين مينسكي" marvin Minsky"وماك كولوك"Mc culloch" فضلا عن جون أوستون " john Austin ".[1]

وتميزت هذه الفترة أيضا ب " ظهور توجهات منطقية جديدة، لا صورية، توجهات أدركت قصور المنطق الصوري، في صيغته القديمة والحديثة، ووقفت على عجزه عن أن يكون أداة مفيدة في وصف تفسير الظاهرة التدليلية كما تتجلى فعلا في العلوم الإنسانية والإجتماعية بشكل عام، وفي التفاعل الحجاجي بشكل خاص، بعبارة أخرى: إن المنطق الصوري لم يَسْتَوف الكفاية الضرورة

[1] بن زحاف يوسف، دروس في اللسانيات التداولية ، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع 57، شارع محمّد خميستي، بوقيراط مستغانم (الجزائر)، ط1، 2020، ص 14.

لدراسة الإستدلال والتفاعل الحجاجيين اللّذين لا يمكن تصور وجودهما من دون ذوات، ومن دون لغة تتواصل بها هذه الذوات.[1] وعندما ألقى جون أوستن محاضراته في فلسفة اللغة، سنة 1955، في جامعة هارفرد، في السلسلة التي كانت تحمل تسمية: محاضرات وليام جيمس " wiliam James lectures" لم يكن يفكر في تأسيس فرع لساني جديد، وإنما كل همّه منصبا على معالجة مجموعة من الإشكالات المتعلقة بفلسفة اللغة تحديدًا. والإشكال الرئيسي الذي كان يعالجه يمثل التساؤل التالي: هل حقيقة ينحصر دور اللغة في توصيف الواقع؟ هذا ما هو مقرر عند الفلاسفة الكلاسيكيين منذ أرسطو وفلاسفة الوضعية المنطقية بصورة خاصة، فقد عمد هؤلاء نهائيا مع تماشيًا مع مقرراتهم أن يقصوا نصيبا من التعابير اللغوية بحجة أنها غير قابلة للفحص، أو كما يقول شليك موريتز " Moritz schlick" : لا يمكن لقضية أن يكون لها معنى إلا إذا كانت تقبل الفحص (verifiable) وإلا فهي " لا معنى لها" "Pseudo- Statements ".[2]

لقد فحص، أولا دعوى الفلاسفة التي تفترض بأن القضية "Statement" إما أن تصف " Describe" شيئًا، أو تثبت واقعة بعينيها "state some faet "، وبالتالي فحكمها إما أن تكون صادقة أو كاذبة، ولاحظ أيضا دعوى النحاة التي ترى أن القضايا لا تفيد الإخبار في كل الأحوال، أو تقرر أحكاما، وإنما بالإضافة إلى الإخبار، هناك الجمل الإستفهامية والأمرية به والتعجبية والتي تفيد التمني ومنها ما يفيد التعارض على وجه ما، والفلاسفة والنحاة جميعًا يشتركون في اعترافهم

[1] مسعود صحراوي، مرجع سابق ص 25.

[2] المرجع نفسه، ص 3.

بأنه ليس من السهل تمييز الجمل الإخبارية من الإستفهامية والطلبية بسبب الافتقار إلى علامات نحوية تحدّد ذلك، كضابط نظم الألفاظ وترتيبها وكصيغ الأفعال، وما إلى ذلك، ويعترف من جهته بأنه لا يدري كيف يمكن أن يميّز أصناف هذه الجمل، ويفصل بعضها عن بعض؟ ثم ما هي الحدود التي فصل بينها؟ وكيف نعرفها؟

إن هذه الملاحظات وغيرها فادته إلى نتيجة في غاية الأهمية، وهي أن جزءا كبيرًا من اللغة لا يوقعه المتكلم ليوصف الواقع، بل ليغيره وأطلق على المغالطة التي يروج لها من سبقه بـ " مغالطة توصيف الواقع"، أو " وهم الوصف" "Description illusion " أن جملا مثل: أمرك بالصمت، أو: أعدك بأن أتيك غدًا، ليس جملا إنشائية يقينا بالمفهوم التقليدي، وهي لا تصف الواقع، وهي لا تخبر بشيء وعوضا عن ذلك هي تسمى لتغيير الواقع فقول القائل: أمرك بالصمت سعيٌ للإنتقال من حالة الفوضى والضجيج إلى حالة السكون وقول القائل: أعدك بأن أتيك غدًا،يغلق نوعا من الإلتزام بأن الفعل سيكون مستقبلا.

ومن هنا فإن التوصيف اللائق بها، ليس هو توصيف الهدف أو الكذب، ولكن توصيف النجاح أو الإخفاق وهكذا، فهي حالة امتثال المستمع للمتكلم وسكوته، يكون متكلم هنا قد نجح في إنجاز الفعل الكلامي، وإذا كان العكس، يكون حينئذٍ قد أخفق.

لقد ميز أوستن في مرحلة أولى بين نوعين من الجمل:[1]

[1] مسعود صحراوي، مرجع سابق ص 14.

- **جمل إخبارية (Constatrives)**: وهي جمل تصف وقائع العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة.
- **جمل إنشائية (Performatives)**: وهي أفعال تؤدي بها أفعال إنجازية في ظروف ملائمة، وهي لا توصف بالصدق أو الكذب، ولكنها توصف بأنها موفقة(Happy) أو غير موفقة (Unhappy) ويدخل في إطارها: التسمية، والوصية، والاعتذار، والنصح، والوعد، والوعيد...

لقد تبين لأوستين أن تمييزه بين الجمل الإخبارية والجمل الإنشائية غير دقيق وغير حاسم، إذ لاحظ أن الكثير من الجمل التي تنطق عليها شروط الأفعال الإنشائية ليست هي كذلك، وأن الكثير من الجمل الإخبارية تقوم بوظيفة إنشائية، ومن ثم فقد أعاد طرح السؤال الأصلي من جديد: كيف تنجز فعلا (an act) عندما ننطق قولا؟ وفي محاولته الإجابة عن هذا السؤال قدم نظريته في تفسير الفعل الكلاسيكي، وأقرن فهل التلفظ ينطوي بالضرورة، كما عُرف عنه، على ثلاثة أركان، هي: فعل التلفظ (Locutionaryact)، وفعل الإنجاز(illocutionaryact)، وفعل التأثير (Perlocutionny- act) التي سنتناولها لا حقًا كما تعرف من أعمال جون سيرل (John searl) أو بول غرايس (Paul Grice) ، ومن جاء بعدهما، وبهذا أصبحت التداولية تيارا لسانيا جارفا منفتحا على جميع الحقول المعرفية التي لها علاقة بنشاط الكلام عند الإنسان، ولم تَتَوانَ في مهاجمة ومعالجة أعقد القضايا الفلسفية المتعلقة بفلسفة اللغة وفلسفة العقل، وقد من أنسب التفسيرات الممكنة لاستعمال اللغة في الواقع الحي.

نظرية الأفعال الكلامية (actes de langage)

نظرية أفعال الكلام تهتم بدراسة الأقوال التي ينتجها أي متكلم وتعتبرها أفمال ذات قيمة إجتماعية قد نستعمل اللغة في كلامنا للقيام بفعل ما وللتأثير على المتلقي، هذا المفهوم وسّعه أوستين "Austin" في المحاضرات الإثناعشر التي ألقاها في جامعة هارفارد "Harvard " سنة 1955، ونشرت سنة 1962 في كتاب عنوانه "how to do think with words " والذي ترجم إلى اللغة الفرنسية عام 1970 إلى "Quand dire, c'est faire "، عندما نقول نفعل " إذ جاء بأفكار ثورية فتحت مجالا واسعا أمام المفكرين على دراسة استعمالات اللغة، فتأسست بذلك نظرية الأفعال الكلامية، واستأنفت بعد ذلك من طرف سيرل "Searle ".

أ- تصنيف أوستن "Austin " للأفعال الكلامية:

ترتكز نظرية أوستين "Austin " على فكرة الإنجازية، والتي مفادها أن بعض الملفوظات في حقيقتها لا تصف شيئا في العالم، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار لفعاليتها في تحقيق وظيفة الصدق و الكذب، ولكنها تؤدي أفعالا (مثلا الوعد التحذير..) ويحكم عليها بمعيار الفشل أو النجاح في الإنجاز ، فقد قام أوستن بالتمييز بين العبارات الإنجازية والعبارات غير الإنجازاية (الوصيفة) فوجد أن " قول شيء ما على وجه مخصوص هو إنجازه، من أمثلة العبارات الوصفية التي تصف أحساسات أعتذر، إني متأسف...أما العبارات الإنجازية: أدعم رأيي، أتوقع...وشرط العبارات الإنجازية هو ملائمتها للواقع (الإنجاز الحقيقي)"[1]. فالوعود مثلا تتضمن التزاما معينا من جانب المتكلم ينجزه عند

[1] أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 1991، ص 100.

قوله(أعد بذلك) هو في الواقع (يعد) أي يجعل نفسه ملزما بفعل ما ،يري بول ريكور أنه " قد يُدمَج الفعل بقطب الواقعة في جدل الواقعة والمعنى، لكن هذا الفعل أيضا يتبع قواعد دلالية تعرضها بنية الجملة، إذ يجب أن يعتبر عن الفعل بصيغة ضمير المتكلم"[1] .والأفعال الكلامية سواء أكانت أوامر أو رغبات أو أسئلة أو تحذيرات أو إثباتات، فضلا عن قولها شيئا ما، تنجز شيئا، وتترتب عليها أثار من خلال القول والجمل الوصفية لا يقصد بها أن تخبر عن أمر أو تبليغ معرفة عن حدث واقع و " يمكن القصد من الكلام في تبادل المعلومات مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته، مما ينتج عنه تغيير في وضع المتلقي والتأثير في مواقفه"[2] لكن أوستين لاحظ أن تصنيفه يفتقر إلى مقياس معياري نحوي لتمييز العبارات الإنجازية، فقسم الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أصناف هي:

- **فعل الكلام (فعل القول Acte locutoire)**: هو الفعل الذي ننجزه بمجرد تلفظنا لبعض الكلمات التي لها نفس المعنى والمرجع.
- **الفعل الإنجازي (قوة فعل الكلام، الفعل المتضمن في القول –Acte illocutoire)**: وهو " فعل اتفاقي مبني على التواطؤ والمواضعة، إنه فعل مؤدي ومنجز طبقا للتواضع"[3] وهو الفعل الذي ننجزه بالقول (سؤال، مر، تحذير، وعد...).

[1] بول ريكور: نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط2، 2006 ص 41.

[2] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1،2009، ص 90.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ص 155.

- **الفعل التأثيري (لازم فعل الكلام Acte perlocutoire)**: وهو الآثار المترتبة عن الفعل الإنجازي وهو الدفع إلى العمل والوصول إلى الإقتناع بفعل شيء أو تركه، فـ" عندما نقول شيئا ما قد يترتب عليه حدوث بعض الأثار على إحساسات المخاطب وأفكاره وتصرفاته"[1] كأن أجمل مستمعي يقتنع بشيء ما، أو أجعله يخاف، أو يمتنع عن فعل شيء...وقد يكون ذلك عن قصد ونية أو عن غير قصد، كما أن الفعل الإنجازي والفعل التأثيري يستلزمان معا للإتفاق.

يرى جورج مولينيه في كتابه الأسلوبية أنّ " الفعل الكلامي الذي يتسم بكونه أدبيا هو "تأثيرًا"، أولا يكون شيئا، فالأدبية هي إنجاز Performativite مطلقة للغة إذ تتحول إلى وظيفة شعرية أي أن الفعل الخلاف لشيء لغوي يكون هو نفسه مرجع هذا الشيء" [2] وهذا يُحِيل على علاقة التداولية بالأدبية من جهة وبالأسلوبية من جهة أخرى.

ويقترح أوستن خمسة أقسام للأفعال الكلامية:

1. **الحكميات Verdictifs** : وتنتقل في الحكم نحو التبرئة، الإدانة، الفهم، إصدار أمر، الإحصاء، التوقع، التصنيف، التشخيص، الوصف...

[1] المرجع نفسه، ص 156.

[2] جورج مولينيه: الأسلوبية، ترجمة: بسام حركة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ، 2006م،ص 160.

2. **التنفيذات Exercitifs**: وتقضي بمتابعة أعمال مثل الطرد، العزل، التسمية،الإتهام، الإستقلالية، التوسل...وتندرج التنفيذات ضمن الصنف الأول فهي أعمال تنفيذ أحكام ولكنها ليست في حد ذاتها حكميات.

3. **الوعديات Promissifs**: وتسمى كذلك الإلزاميات أو أفعال التكليف لأنّها تلزم المتكلم بإنجاز فعل معين مثل " الوعد، المرافقة، التعاقد، العزم، النية...

4. **الفرضياتExpositis** : وتسمى كذلك " التفسيريات" الهدف من الحجاج والنقاش والتبرير، وتختص بعرض مفاهيم منفصلة مثل التأكيد، النفي، الوصف، الإصلاح..[1]

ويمكن تلخيص تصنيف أوستن Austinكما يلي: " أنَّ الفعل المتعلق بممارسة توكيد لنفوذ أو ممارسة سلطة معينة، والفعل الإلزامي هو اتخاذ تعهد أو إعلان عن قصد، والفعل السلوكي هو اتخاذ موقف، والفعل التفسيري هو توضيح مبررات وحجج ومعلومات"[2].

يبدوا تصنيف أوستن مفتوحا ومرنًا، لذلك حاول سيرل تطوير نظرية أفعال الكلام عن أوستن واقتراح معايير أخرى لتصنيف أفعال الكلامية.

نظرية أفعال الكلام عند سيرل "Searle "

[1] ينظر فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص 62.

[2] صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، لبنان الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 224.

1- تصنيف سيرل "Searle " للأفعال الكلامية:

إن إختلاف الهدف من الفعل الكلامي هو ما جعل " سيرل" يعيد هذا التصنيف، فقد يكون الهدف منه هو القيام بفعل معين من جهة، وجعل الأفعال مطابقة للعالم، أو جعل العالم مطابقا للأفعال من جهة أخرى، كما قد يختلف الهدف من الأمر، على أنّه جعل المستمع يفعل شيئا، والهدف من الوعد هو تعهد المتكلم بإلزام نفسه أن يفعل شيئا وهكذا، فالهدف الإنجازي من" الأمر" و " الطلب" هو ذاته، كلاهما يجعلان المستمع يقوم بفعل شيء ما، ولكن القوة الإنجازية تختلف عن ذلك وقد ميّز "سيرل "Searle " بين أربعة أقسام من الأفعال الكلامية: فمن خلال الأمثلة الآتية:

أ- " جون" يفرط في التدخين.

ب- هل يفرط " جون" في التدخين؟

ج-عليك أن تفرط في التدخين يا " جون".

د- الجو لا يطاق بتدخين " جون" المفرط.

فإننا نقوم بأربعة أمور: عند النطق بالعبارات الأربعة، نقوم بفعل التلفظ (الصوتي، التركيبي) " Act démonciation" والملاحظ أنّ هذه العبارات تشترك في المحتوى القضوي " Act- proposition"(التدخين المفرط لـ" جون") لكن لكل عبارة منها فعل إنجازي " Act illocutionnaire" (الإخبار، السؤال، الأمر، التمني...) وكل عبارة تخلّف نتائج معينة الفعل التأثيري (Act perlocutionnaire).

كما فرق " سيرل" "Searle " بين " الأفعال الكلامية المباشرة" و " الأفعال الكلامية غير المباشرة" وصنف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف وهي:

1-**التأكيدات (التقريريات Assertifs)**: هدفها " هو تعهد المرسل بدرجات متنوعة بأنّ شيئا ما هو واقعة حقيقية، وتعهده كذلك بصدق قضيته ما" . وتهدف إلى جعل الكلاميات تطابق العالم.

2-**التوجيهات (Directifs)**: هدفها دفع المرسل إلى فعل شيء ما، ويحاول تحقيق هذا الهدف بدرجات متفاوتة تتراوح بين اللين وذلك بالإغراء والاقتراح أو النصح، والعنف والشدة وذلك بالإصرار على فعل الشيء[1]، وتسمى كذلك (الأوامر) وهدفها جعل العالم يطابق الكلمات.

3- **الالتزاميات (Commissifs)**: هدفها التزام المرسل بدرجات إنجاز فعل ما في المستقبل (التعهد) مبنية على شرط الإخلاص، وهنا يجب أن يطابق العالم الكلمات وهي توافق الوعديات عند " أوستن".

4-**التعبيرات (Expressifs)**: والهدف منها" التعبير عن حالة سيكولوجية محددة" [2] وشرط هذه الحالة النفسية هو عقد النّية والصدق في محتوى الخطاب، ومن أمثلتها الإعتذار والشكر والتهنئة والنقد والقسم و" بأداء الفعل المعبر لا يحاول المتكلم أن يؤثر في

[1] ينظر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 123.

[2] ينظر نفسه، ص 123.

العالم ليماثل الكلمات لتماثل العالم"[1]، والملاحظ أنّ التعبيريات توافق اجمالا السلوكيات في تصنيف " أوستن Austin".

5- **التصريحاتDéclarations** : وتسمى كذلك الإدلالات هدفها جعل العالم يطابق الخطاب والخطاب يطابق العالم، مثل: أعلن، أصرح...

ويمكن تلخيص تصنيف سيرل كما يلي " لو اتخذنا الهدف الفرضي بوصفه فكرة محورية تصنف بها استعمالات اللغة، لوجد إذن عدد محدود إلى حد ما لأشياء أساسية نفعلها باللغة، نخبر الناس كيف توّج الأشياء، ونحاول التأثير عليهم ليفعلوا أشياءً، ونلزم أنفسنا بفعل أشياء، ونعبر عن مشاعرنا ومواقفنا ونحدث تغييرات بواسطة منطوقاتنا، وفي أحوال كثيرة نفعل أكثر من واحد من هذه الاستعمالات بمنطوق بعينه في آن واحد"[2] وأنّ قدرة الشخص على فهم أفعال الكلام وانجازها هي التي تجعله يعرف الطريقة التي تستخدم بها هذه الجمل لإطلاق الأحكام أو إلقاء الأوامر والوعود...أو غير ذلك.

الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة:

ميّز سيرل "Searle " بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، وقد وضع مقاييس لنجاح الفعل الإنجازي منها، غاية القول، توجيهه، وحالته السيكولوجية.. وسماهَا شروط النجاح، ويستند

[1] صالح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 234.

[2] المرجع نفسه ص 237-238.

فيها إلى قوانين المحادثة لـ" غرايس" " Grice" ثم يرى أنّ الأفعال المباشرة هي " التي يكون معناها مطابقا لما يريد المرسل أن ينجزه مطابقة تامة والدالة على قصده بنص الخطاب".

أما بالنسبة للأفعال الكلامية غير المباشرة: فقد " يرمي المتكلم من خلال قوله إلى التعبير بشكل ضمني من شيء آخر غير المعنى الحرفي، مثلما هو الشأن في التلميحات والسخرية والإستعارة وحالات تحدد المعنى ..." تمثل الإستعارة والأقوال المجازية فعلا كلاميا غير مباشر، ومن أجل تقسيم الجملة الإستعارية ميّز سيرل بين المعنى المتكلم الذي يقصده، ومعنى الجملة، وهذين المعنيين لا يتطابقان، فالمتكلم يقول شيئا ويقصد شيئا آخر، ولقد حدّد سيرل مصطلحين أساسيين استخدمهما في معالجة هذا الجانب من مشكلة الاستعارة، وهما مصطلح (معنى منطوق المتكلم) و (معنى الجملة) ورأى أن المعنى الاستعاري هو معنى منطوق المتكلم.

العلائق المعرفية للتداولية:

1- الفلسفة التحليلية:

وتسمى أيضا " بفلسفة التحليل" وفي مفهومها العام اللغوي، الذي هو تمييز عناصر الموضوع،والوقوف على تناسقها[1]، وبعدها عن التناقض وعليه فـ" التحليل كلمة تردُّ في السياق الفلسفي، ويقصد بها بصفة عامة نفس المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من استعمالها في لغة الحديث الجارية فهي تعني في اللغة الفكّ والفتح، وفي الحقل الفلسفي تطلق لفظة " التحليل" وتعني فك

[1] زكي نجيب محمود، خرافة الميتافيزيقا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1953، ص 5.

وتفتيت الموضوع الذي نتناوله بالبحث إلى عناصره أو وحداته الأولية، سواء كان فكرة في الذهن، أو قضية من قضايا المنطق، أو جملة من جمل اللغة أو واقعة من وقائع الحياة"[1].

ويعتبر الفيلسوف جوتلوب فريجي المؤسس الحقيقي لهذا التيار.

إذن الفلسفة التحليلية هي تأسست على يد جوتلوب فريجي وهي فك لموضوع ما الذي تتناوله وتدرسه عن طريق البحث عن عناصره سواء فكرة في الذهن أو قضية من قضايا المنطق.

1-فلسفة اللغة:

رائد هذا الإتجاه لودفيج فنجنشتين، فميزة فنجنشتين تكمن في كونه يرى أن من إشكالات الفلسفة التقليدية هي إشكالات زائفة، فهو يرى أن مهمة الفلسفة الأولى هي التوضيح المنطقي للأفكار وهي ليست علمًا وإنما هي نشاط ونتائجها ليست عبارات فلسفية مصوغة صياغة نهائية وإنما هي نشاط تحليلي يهدف إلى التوضيح...، لذلك فهو لا يرى معدلاً عن اللغة العادية أسلوب للتوصيف الفلسفي وموضوعًا للفحص، أعني اللغة التي يتعامل بها الناس في حياتهم اليومية.

فيقول: " حين أتحدث عن اللغة يجب عليّ أن أتكلم اللغة اليومية، هل هذه اللغة غليظة جاسية للتعبير عما نريد أن نقوله إذن فكيف نبني له لغة أخرى؟..."[2].

[1] د. عزمي إسلام، لدفيج فتجنشتين، دار المعارف، القاهرة، ص 59.

[2] لود فيج فنجنشتين: رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1968، ص 274.

وفيما نحن بسبيله يهمنا فهم فنجنشتين لـ" المعنى" فما " المعنى " في نظر فنجنشتين؟ ليس من شك في أنه ليس مقابلا للتلّفظ الصوتي، على أي حال، صحيح أنه يمثل " التصور" كما في تلفظنا بألفاظ مثل" القلم، كتاب، تفاحة".

2- الفلسفة البراغماتية:

من أهم وأبرز الفلاسفة البراغماتيين الذين عملوا على تطوير الفلسفة البراغماتية: شارلز ساندرس بيرس، ووليم جيمس، وجون ديوي يعتر الفلاسفة الثلاثة أبرز المنظرين لها، وبيرس أقدم هؤلاء جميعا،وهو أول من أدخل مصطلح براغماتية إلى الفكر الفلسفي بشهادة وليم جيمس، حيث يقول:" إن اللفظ (لفظ Pragmation) مشتق من الكلمة اليونانية نفسها التي تصف الفعل Action والتي تشتق منها كلماتنا المزاولة Practice وعملي Practical وكان أول من أدخل اللفظ في الفلسفة السيد تشارلز بيرس في سنة 1878م، قال بيرس، بعد أن أشار إلى أن عقائدنا هي في الواقع قواعد العمل إننا من أجل أن ننشئ معنى فكرة، فكل ما نحتاج إليه هو تحديد أي سلوك تصلح لإنتاجه، إن ذلك المسلك بالنسبة لنا هو مغزاها الوحيد الذي يعتمد عليه"[1].

إذن الفلسفة البراغماتية أول من أدخل مصطلح البراغماتية إلى الفكر الفلسفي، فالبراغماتية تعني هي لفظ مشتق من الكلمة اليونانية والتي تعني Action أي الفعل أو العمل.

[1] د. بن زحاف يوسف، " دروس في اللسانيات التداولية" ، مرجع سابق ص 34.

إن جوهر الفلسفة البراغماتية يقوم على الربط الوثيق بين المعنى والفعل حيث يمكن فهم طبيعة المعنى بالرجوع إلى الفعل فقط.

وقد نبع هذا العلم من تيارين يخرجان من أصلين مختلفين ومتداخلين في الآن نفسه، تيار يخرج من أطروحات فلسفية ومنطقية مختلفة، جمعت تحت عنوان (الفلسفة اللغوية)، ويجمع نظريات مختلفة ومتداخلة: كالفلسفة التحليلية، والنماذج المنطقية المختلفة، وتيار ينبع من اهتمام اللسانيين بالتخاطب، وذاتية المتكلم، وخصائص الخطاب،ويجتمع التيارات في مجال عام مشترك بين اللغويين، والفلاسفة، والمناطقة، وعلماء النفس هو التيار التداولي.

خلاصة الفصل :

اكتشف الباحثون مصطلح التّداولية وأصبح على ألسنة اللّغويين وغير اللّغويين، يتناقلونه ويستنطقون مباحثه من: تلفّظ وأفعال كلامية وحجاج وقصدية...وإن تنوّعت المصطلحات وتعدّدت المفاهيم، فالأرجح أنّها ترتبط جلّها بكيفية الإشتغال باللّغة في مواقف كلامية معيّنة، حيث تتّخذ مواضع محدّدة تجعل الذّات المتلفظة تبحث عن التوافق مع مقتضى الحال، باحثة عن أدوات الإنجاز الفعلي للكلام، والإقناع والتأثير في الآخر، والتلميح بالمعنى ...

الفصل الثـــــاني:

مظاهر إجراء المنهج التداولي في الدرس اللغوي

✍ في البلاغة

✍ في النحو

✍ التداولية في الخطاب النقدي القديم

1- في البلاغة:

تمهيد:

تعد البلاغة من أبرز علوم اللغة التي تتجلى فيها مظاهر الفكر التداولي، وقد عرفها أهل الشأن بأنها " مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، "وقال أبو هلال العسكري: " سميت بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه".

أ- ثنائية الخبر والإنشاء عند السكاكي:

تناول السكاكي ثنائية الخبر والإنشاء ضمن مباحث علم المعاني الذي يختص بدراسة التراكيب المفيدة، ويتضح ذلك من خلال تعريفه لعلم المعاني بقوله: " اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستّحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره...".[1]

ثم يقسم هذه التراكيب إلى قسمين: الخبر والطلب(الإنشاء)

ب- المعاني المستلزمة عن الأسلوب الخبري:

الأصل في الخبر أن يلقى لإفادة المخاطب الحكم الذي يتضمنه الكلام إخراجا له على مقتضى الظاهر، فيكون وفق أحد أضرب الخبر الثلاثة، ومراعياً حال المخاطب من حيث كونه خالي الذهن

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 247.

أو مترددًا شاكًا، أو منكرا للخبر معتقدًا خلافه، غير أنه قد تأتي مقامات تفرض إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لتتولد عنه أغراض أخرَى مختلفة تستفاد من السياق وملابسات القول، وهذا ما أكدت عليه الدراسات التداولية الحديثة بتركيزها على السياق بطلبيات الكلام في تحديد المعنى المراد.

الخبر والإنشاء:

الخبر جزء الجملة الذي تتم به مع المبتدأ فائدة.

والأصل في الخبر أن يكون اسما مفردًا، وقد يكون جملةً، أو شبه جملة، سواء أكانت الجملة فعلية أم اسمية أم شرطية، ولا بد لجملة الخبر من رابط يربطها بالمبتدأ، أيْ أن تشتمل على ضمير المبتدأ ظاهرًا أو مقدرًا، أو على إشارة عائد إلى المبتدأ، أو يعاد فيها المبتدأ بلفظه أو معناه، أو يكون فيها عموم يشمل المبتدأ، أو تكون جملة الخبر عين المبتدأ في المعنى.[1]

ففي جملة الخبر لا فرق أن تكون خبرية أو إنشائية، فكما يصح أن تقول: زيد أبوه قائم، أو قام أَبوه، يصح أيضا أن تقول: زيد أكرمه، وزيد هل سافر؟، وزيد ليته يفوز، وزيد مّا أعجبه، وزيد والله لأكرمَنَّهُ، ونحو ذلك، وهم يعنّون: أن الجملة الإنشائية في هذه الأمثلة هي نفسها عين الخبر،

[1] عبد السلام مُحَمَّد هارون، " الأساليب الإنشائية في النحو العربي"، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة،ط5، 1421هـ، 2001، ص 35.

وليست مقولة لقول محذوف هو الخبر ومع ذلك فلم يسوغ الجمهور الإخبار بجملة النداء فلا يقال: زيد يا أخي، استثنوا أسلوب النداء من بين أساليب الإنشاء، كما في الهمع.[1]

ابن الأنباري خالّف وبعض الكوفيين فمنع الإخبار بالجملة الإنشائية إلا على تقدير القول وحجته أن الخبر ما يتحمل الصدق والكذب، والجملة الإنشائية لا تحتمل ذلك.

ابن الأنباري احتج به مردود[2]:

1- بأنَّ الخبر الذي يحتمل الصدق والكذب ليس هو خبر المبتدأ بل هو ما يقابل الإنشاء،وأنت ترى أن المفرد يقع خبرًا إجماعا مع كونه غير محتمل للصدق والكذب، لأنَّ احتمال ذلك إنما هو من خصائص الكلام لا الكلمة الواحدة.

2- اتفق النحويون جميعًا على جواز الرّفع في نحو: أمّا زيد فاضربه، فبرفع زيد في هذا المثال يتعين أن يكون مبتدأ والجملة بعده خبر، وهي إنشائية طلبية.

3- كذلك ورد السماع كثيرا بالإخبار بالجملة الإنشائية الطلبية من ذلك قوله تعالى:" الحَاقّة مَّا الحاقَة" و " القارعَّة ما القارعة" و" أصْحَابُ اليَمِينِ مَّا أصْحَابُ اليَمِينِ"، إذ وقفت جمل الإستفهام والدعاء أخبارًا.

[1] المرجع نفسه، ص 35.

[2] عبد السلام مُحَمَّد هارون، المرجع نفسه ص 36.

المخاطب وأثره في توكيد الخبر (أضرب الخبر عند البلاغيين العرب)

أ- مفهوم التوكيد:

- **المستوى النحوي:**

استخدم النحويون العرب التوكيد في مستوى الكلمة المفردة، فهناك بعض الكلمات تؤكد مضمون دلالة الكلمة السابقة لها، ويقسمونه إلى توكيد لفظي وتوكيد معنوي، فيطلقون اللفظي على ما تكرر لفظه، والمعنوي على عدة ألفاظ مخصوصة (نفس، وعين، وجميع، وكل...) وتأخذ اللفظة الثانية في التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي حركة اللفظة السابقة عليها لفظًا أو محلاً أو تقديرًا.[1]

- **المستوى البلاغي:**

وهناك مستوى آخر للتوكيد عند البلاغيين العرب القدماء يتمثل في توكيد مضمون الجملة،وقسموا الخبر على ضوئه إلى ثلاثة أقسام: الخبر الإبتدائي والطلبي والإنكاري. وهذا التوكيد يأتي على أشكال منها الزيادة على المبني الأصلي، أي تأتي وحدة لغوية لغرض توكيد مضمون الجملة كدخول " إنّ" على الجملة الإسمية، ودخول " نون التوكيد" على الجملة الفعلية، وقد يأتي التوكيد بلا حذف وإعادة الترتيب والتنغيم أيضًا، وهذا التوكيد هو الذي يدخل فيما نحن بصدده من دراسة التركيب الخبري، ونفصّل الكلام حوله كما يلي[2]:

[1] عمايرة خليل، أسلوب التوكيد اللغوي منهج وصفي في التحليل اللغوي، دار الفكر، عمان، الأردن، د.ت،ص 5-7.

[2] مرجع نفسه، ص 7.

وذكر خالد ميلاد أنَّ " أدوات التوكيد في الجملة الإسمية والفعلية في كتاب سيبويه لا تسهم في تأسيس المعنى بقدر ما تعيَّن جهة اعتقاد المتكلم وجهة إعرابه عن ذلك المعنى...وحقيقة كون الحرف بمنزلة الفعل أنه بمنزلة فعل المتكلم إذ نظيره من الأفعال إنما هو أفعال الشَّك والعلّم واليقين، وموضعها أوّل الكلام إذا كانت عاملة".[1]

- وأطلّق القزويني على هذا النوع من التوكيد مصطلح " أضرب الخبر" فقال: " أضرب الخبر: وإذا كان غرض المخبر بخبره إفادة المخاطب أحد الأمرين فينبغي أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر والتردد فيه،استغنى عن مؤكدات الحكم، كقولك:" جاء زيد، وعمر ذاهب"، فيتمكن في ذهنه لمصادفته إياه خاليا، وإن كان متصورا لطرفيه مترددًا في إسناد أحدهما إلى الآخر طالبًا له حسن تقويته بمؤكد كقولك: " لزيد عارف أو إن زيدًا عارف". وإن كان حاكمًا بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار فيقول: " إني صادق، لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره، و " إني لصادق" لمن يبالغ في إنكاره، وعليه قوله تعالى: { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿13﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴿14﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿15﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿16﴾} (يس: 13-16) حيث قَال في المرة الأولى : {إِنَا إِلَيْكُمْ مرسلون} وفي الثانية: {إِنَّا إليكُم لمرْسلونَ } ويسمى النوع الأول من الخبر

[1] ميلاد خالد، الإنساء في الغربية بين التركيب والدلالة، سبق ذكره ص 78.

ابتدائيًا، والثاني طَلَبِيًا والثالث إنكاريًا، وإخراج الكلام على هذه الوجوه إخراجًا على مقتضى الظاهر".

إذن تقسيم الخبر له علاقة بحال المتلقي تجاه الخبر وهذا ما أكدت عليه الدراسات التداولية حيث ارتبطت بنية الخطاب بحال المتلقي.

أ- أسلوب التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير من الأساليب البلاغية التي تختص بها اللغة العربية وهو أسلوب كثير الورود في كلام العرب، وقد تناوله بالدراسة علماء البلاغة، كما تناوله علماء النحو وعلماء التفسير للوقوف على معاني الآيات القرآنية التي ورد فيها.

إذ ذهب علماء البلاغة إلى بيان مواطن التقديم والتأخير في الكلام وربط ذلك المقصد المتكلم ويعد هذا البعد من مبادئ الدراسة التداولية.

يقول الجرجاني عن التقديم والتأخير أنه" هو باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسّن، واسع التصرف،يعيد الغاية، لا يزال يفتُر لك عن بديعة، ويقضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراء يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكانٍ".[1]

[1] عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تر: مُحَمَّد شاكر أبو فهرْ، دار المدني بجدة، القاهرة، ط3، 1431هـ، 1995م، ص 106.

ردَّ الجرجاني التقديم إلى فعل النيّة وهو مصطلح نتخذه مرادفا لمصطلح القصد، وفي ذلك يقول: " واعلم أن تقديم الشيء على وجهين:

تقديم يقال إنه على نية التأخير، وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك: (منطلق زيد/واضرب عمرا زيد)...وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعله له بابا غير بابه، وإعراب غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ أو يكون الآخر خبرا له، فتقدم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا".[1]

قد يلجأ المتكلم إلى تقديم لفظ وتأخير لفظ آخر أثناء كلامه ليست لمجرد العناية والإهتمام فحسب، وإنما يعود سببها إلى بواعث وأغراض تداولية يحكمها المقام، ويوجهها السياق الذي يجري فيه الكلام، والأمثلة على ذلك كثيرة في الخطاب القرآني قوله تعالى: { وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ منْ خشية إِمْلاقٍ نَحنُ نَرزُقُكُمِ وإيَاهُم} (الإسراء 31).

فالآيتان متشابهتان من حيث تضمن كل منهما فعلا كلاميا توجيهيا هو (النهي الصريح عن قتل الأولاد)، إلا أنهما تختلفان من حيث السياق الذي وردت فيه كل منهما (سبب النزول) إذ وردت الآية الأولى (آية الأنعام) في سياق قتل الآباء الفقراء لأولادهم، فقال تعالى: { وَلا تَقْتُلُوا

[1] المرجع نفسه، ص 107.

أَوْلادَكُمْ منْ إِمْلاقٍ} أي لا تقتلوا أولادكم بسبب فقر حال بكم، فناسب هنا تقديم رزق الآباء على الأولاد، { نحن نرزقكم وإيَاهمْ} .[1]

ب- أسلوب الحذف:

الحذف من الأساليب البلاغية الشائعة في جميع اللغات وفيها اللغة العربية، عقد له ابن جني بابا في الخصائص سماه (...في شجاعة العربية)، جاء فيه: " قد حذفت العربُ الجملة، والمفرد والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه..."[2]

قد يقابل الحذف عند القدماء ما سمي في الدرس التداولي بمضمرات القول، والذي يظهر في الخطاب الذي يجري بين أطراف هي المتكلم والمخاطب ضمن العملية التواصلية في مجراها التداولي، لكون هذه آلية الخطابية لا تفهم حمولتها الدلالية إلا باقترانها بالسّياق التخاطبي التداولي، والذي يضم أطراف الترسيمة التواصلية (المتكلم، المخاطب والسياق الذي ينشأ فيه الخطاب).

كما جاء في تعريف عبد القاهر الجرجاني له: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتّم ما تكون بيانا إذا لم تُبن.."[1]

[1] عيسى تومي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية في اللسانيات واللغة العربية، 1435هـ/1436هـ، د ط، ص 30.

[2] ابن الجني، الخصائص، ج2، ص 360.

فقد يلجأ إليه المتكلم ليحذف بعض الأجزاء من كلامه لدلالة الباقي عليها وهو يرتبط بنص الخطاب كما يرتبط بحال السامع وبعلاقته بذلك الخطاب وهو ما يؤكده مراعاة البعد التداولي لهذا الأسلوب البلاغي، إذ إنَّ من دواعيه أن المتكلم يرى أحيانا أن ترك الذكر أفصح من الذكر، وأن الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة.

ج- أسلوب الالتفات:

أسلوب الإلتفات هو من الأساليب البلاغية التي إهتم بدراستها البلاغيون وعلماء التفسير، وسمي بذلك لأنه يُنتقل فيه من صيغة إلى أخرى، كانتقال الخطاب من صيغة الحاضر إلى الغائب، أو من صيغة الغائب إلى الحاضر، وقد سمي (شجاعة العربية) لأنها تختص به دون سائر اللغات.

والالتفات كما يرى الإمام الزركشي (ت794هـ): " هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر...وتجديد النشاط وصيانة لخاطر من الملل والضجر يداوم الأسلوب الواحد على سمعه".[2]

وأسلوب الإلتفات كثيرٌ في كلام العرب، وفي الخطاب القرآني، ومن أمثلته قوله تعالى:" {وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحمنُ وَلَدًا ۝ لَقَد جِئتُم شَيئًا إِدًّا }، وشاهد الإلتفات في الآيتين هو انتقال الخطاب من صيغة الغائب {وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحمنُ وَلَدًا} إلى صيغة المخاطب { لَقَد جِئتُم شَيئًا إِدًّا} (مريم:88)

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146.

[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار الترك، القاهرة، مصر، د ط، ج3، ص 314.

والفائدة من هذا الالتفات كما يرى ابن الأثير (ت 637هـ) هي زيادة التسجيل عليهم "الجراءة على الله تعالى والتعرض لسخطه وتنبيهه لهم على عظَّم ما قالوه، كأنه يخاطب قوما حاضرين بين يديه منكرًا عليهم وموبخًا لهم " [1] فأسلوب الإلتفات هو انتقال الخطاب من الغائب الى صيغة المخاطب وهذا ما أكدت عليه الدراسات التداولية.

[1] ابن الأثير، يمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، القاهرة، مصر 1939، ج2، ص 6-7.

2- في النحو

لا يكاد البحث النحوي في تراثنا يخلو من اهتمام النحاة بدراسة الأفعال الكلامية ضمن تطبيقهم معاني الخبر والإنشاء على بعض الظواهر النحوية، وحرصهم الشدّيد على الإهتمام بالمعاني والأغراض الإبلاغية المتوخاة من الخطاب، وإصرارهم على أن البنية التركيبية تابعة للوظيفة التواصلية،ومن ثم فقد تناولوا الكثير من المعاني المتعلقة بإنجازية الأساليب العربية المختلفة بخلفية تداولية، فتّطرقوا إلى الكثير من الأفعال الكلامية كفعل التّأكيد وفعل الإغرّاء وفعل التّحذير وفعل النّداء وفعل الاستغاثة والندبة وغيرها.

أ- فعل التأكيد:

فعل التأكيد غرض تواصلي يستخدمه المتكلم لتبيّن الشيء في نفس المخاطب وإزالة ما علق بها من شكوك، وقد عني بدراسته بعض المتأخرين من النحاة كالرضّي الأستر باذي (ت 686هـ) الذي حدد الغرض منه في قوله " فالغرض الذي وضع له التأكيد أحد ثلاثة أشياء، أحدها: أن يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع عنه، وثانيها: أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط...والغرض الثالث: أن يدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجاوزا..."[1]

[1] الرضى الاستراباذي: شرح الكافية، تحقيق حسن بن مُحَّد ابراهيم الحفظي، نشر وطباعة جامعة الإمام مُحَّد بن مسعود، الرياض، السعودية، ط1، 1993، ص 149.

ولما كان الغرض من التأكيد هو تقرير الأمر وجعله ثابتا ومتحققا يمكن إفادته باستعمال ألفاظ وصيغ معروفة (كالتوكيد اللفّظي، والتوكيد المعنّوي، والقسم... وغيرها)، فهذا يؤكد ارتباطه بطرفي الخطاب (المتكلم والسامع) وعليه فإن مراعاة حال السامع وكونه شاكًا أو متيقنا، هي التي تدفع المتكلم إلى تأكيد كلامه، فإذا ما كرّر اللفظ نبّه المخاطب له، ومنعه بذلك من الشك أو توهّم الغلط. وهذا ما حاول الرضي بيانه في تعريفه السابق، وهو ما يؤكد العلاقة الوثيقة بين التراكيب اللغوية ومستعمليها، فتأكيد المتكلم أمرا مَّا وتقريره إنّما يرجع إلى ما يصبوا إليه من مقاصد وأغراض يريد إيصالها إلى السامع.

وخلاصة القول إن التأكيد معنى أسلوبي وغرض تداولي، تراعى فيه حال السامع التي أشار إليها الرضي في نص السابق، وهو – أي التأكيد- بلّغة سيرل، وهذا يقع في صميم اهتمام التداوين المعاصرين حيث صنفوا هذا الفعل الكلامي في الأفعال الكلامية التقريرية، حيث يمكن إدراجه ضمن صنف التقريريات.

ب- فعل الإغراء والتحذير:

التحذير والإغراء من الأساليب التعبيرية التي درسها النحاة، فالتحذير هو " تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليجتنبه"[1]، نحو: (الأسدَ الأسدَ) أي: احذر الأسد.

[1] ابن هشام الأنصاري (ت761هـ)، أوضح المسالك التي ألفيته ابن مالك، تحقيق مُحَّد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، د ط، د ت، ج4، ص 75.

وأمّا الإغراء فهو: " تنبيه المخاطب على أمر محمود ليفعله"[1] نحو: (المرُوءَةَ- المرُوءةَ) أي: إلزم المروءة، وقد لزم حذف العامل فيهما (الفعل) لإرتباط ذلك الحذف بأغراض تواصلية محددة يقتضيها المقام، وذلك أنّه لما كان قصدُ المتكلم تنبيه المخاطب وتحذيره من شيء ما حتى يتجنّبه، فإنّ ذلك يتطلّب الإسراع في ذكر المحذّر منه بأبلغ ما يمكن التعبير عنه: بحيث يضيق الوقت إلاّ عن ذكره دون (العامل): فقصدُ المتكلم من حذف الفعل هنا هو الإسراع في التحذير، أي ليفرغ سريعًا إلى لفظ المحذّر منه، وهو حصول الفائدة لدى المخاطب.

ويبيّن الرضي دور كل من طرفي الخطاب (المتكلم والمستمع) في إنتاج العبارات اللغوية على هيئة مخصوصة، انطلاقا مراعاة قصد ما يريد إيصاله إلى السامع من إفادة تتمثل في تنبيه على أمر مكروه ليتجنبه، فوجب عليه حذف العامل (الفعل). " لأنّ القصد أن يفرغ المتكلم سريعا من لفظ التحذير حتى يأخذ المخاطب حذره من ذلك المحذور"[2].

والأمر نفسه بالنسبة لأسلوب الإغراء، فإن علَّة حذف العامل فيه، هي نفسها التي تقدمت في التحذير، لأن ذلك مما يقتضيه الترغيب والتشويق في الشيء، لأن المقام هنا يتطلب الإسراع في ذكر (الأمر المحمود)، فيحذف الفعل للتعجيل، فيتهيأ السامع لتنفيذ الأمر الذي أغري به، وحينئذ يتحقق الغرض التواصلي لفعل الإغراء.

[1] المرجع نفسه، ص 79.

[2] الرضي الإسترادي، شرح الكافية، ص 573.

والإغراء والتحذير من الأفعال الكلامية لكونهما يهدفان إلى التأثير في المخاطب وحمله على أداء فعل ما أو اجتنابه ويمكن إدراجهما حسب سيرل لأفعال الكلام في صنف الأمريات.

ج- فعل الإستغاثة والندبة:

هما معنيَّان أسلوبيان متفرعان عن النّداء في تصور النحاة، فالإستغاثة هي نداء من يعين على دفع بلاَّء أو شدَّة، وأما الندبّة فهي نداء المتفجّع عليه أو المتّوجع منه، يقول سيبويه:" اعلم أنّ المندوب مدعو ولكنه متجّمع عليه...فإن شئّت ألحقت في آخر الإسم الألف لأن الندبّة كأنهم يترنمونَ فيها، وإن شئت لم تُلحِق كما لم تلحق في النداء".[1]

ويطلب في استعمال نداء المندوب (وا) نحو: (واسيداه، واكبدَاه) وقد تستعمل (يا) إذا لم يؤدّ ذلك إلى اللبس نحو: (يا للأقوياء للضعفاء). وللمنادى المندوب ثلاثة أوجه:

- أن يختم بألف زائدة لتأكيد التفجّع والتّوجع، نحو: (واكبدا).
- أن يختم بألف الزائدة وهاء الساكنة، نحو: (وامعتصماه).
- أن يبقى على حاله نحو: (وامحّمد).

ويشترط النحاة في المنادى المندوب أن يكون معروفا لدى المتكلم، لأنّ الغرض من الندبة هو إظهار التفّجع على المندوب، وذلك إنّما يكون بأعرف الأسماء واظهرها للدلالة على الغرض

[1] سيبويه الكتاب، ج2، ص 220.

المرجو من ذلك، يقول سيبويه: " لأنّك إذا ندبت فإنّما ينبغي لك أن تفجّع بأعرف الأسماء، وأن تخُصّ ولا تُبهم.."[1]

فالمندوب شبيه بالمنادى، ويختلف عنه بأنّ فيه معنى زائدا على النداء هو معنى التفجع، والذي يجعله حسب تصنيف سيرل للأفعال الكلامية- من البوحيات- .

الضمير

أ- ضمير الفصل:

أن يقع بين المبتدأ و الخبر أو ما أصله مبتدأ و خبر واشترط الجمهور أن يكون الأول معرفة وأما الثاني فمعرفة أو كمعرفة في أنه لا يقبل (أل) نحو (زيد هو المنطلق) وقوله: {ومَا تُقدمُوا لأنفسِكم من خير تَجدوهُ عِندَ الله هو خيرًا وَ أَعظَمَ أجرًا} (المزمل: 20).[2]

هذا القول أي الاعلام بأن ما بعده خبر لا تابع.

فضمير الفصل قد يفيد أنّ ما بعدهُ خبر لا تابع، ولولا الضمير لإحتمل أن يكون تابعا، وأن يكون خبرًا ومن ذلك قوله تعالى {إنَّ هذَا لَهُوَ القَصَصُ الحقُ }(آل عمران:62).

[1] مرجع نفسه ص 227.

[2] مُغني اللبيبْ، ج2، ص 494-495، كتاب – سيبويه (1)355.

- فوجود الضمير عين أن يكون (القصص) هو الخبر، ولولا الضمير لإحتمل أن يكون (الحق) هو الخبر، والقصص بدلا منه، فيكون المعنى :إنَّ هذا القصص هو الحق، ولا تظنن أن (أن) هي التي عينت الخبر برفعه، فذلك صحيح في هذه الجملة ولكن لو حذفنا (أن) ما تعين الخبر إلا بالضمير ومن ذلك قوله تعالى: { ذلكَ هُوَ الضلالُ البعيد} (الحج: 12) فوجود الضمير عين أن يكون (الضلال) هو الخبر ولولا (هو) لا احتمل أن يكون البعيد هو الخبر والضلال تابعا فيكون المعنى: ذلك الضلال هو البعيد.

التوكيد:

جاء في (الكشاف) في قوله تعالى: { وأولئك هُمُ المفلحونْ } (البقرة:5).و (هم) فصل وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره.

ب- ضمير الشأن:

من عادة العرب أنهم قد يقدمون على الجملة ضميرا تفسره الجملة بعده يسمى ضمير الشأن وذلك في مواضع التفخيم والتعظيم يقولون: (هو زيد منطلق) ومعنى (هو): (زيد منطلق) أي أن معنى الضمير هو معنى الجملة، فيكون المعنى هكذا: الشأن زيد منطلق، أو الأمر زيد منطلق، ويعني بالأمر ما بعده.

جاء في (شرح الرضي على الكافية): " ويتقدم قبل الجملة ضمير غائب يسمى ضمير الشأن،يفسر بالجملة بعده، ويكون منفصلا، ومتصلا مستترا، وبارزا على حسب العوامل...مثلا: (هو الأمير مقبل) كأنه سمع ضوضاء وجلبة فاستَّبهم الأمر فيسأل ما الشأن والقصة؟ فقلت (هو الأمير مقبل) أي الشأن هذا.

والقصد بهذا الإبهام، ثم التفسير، تعظيم الأمر وتفخّيم الشأن، فعلى هذا لا بد أن يكون مضمون الجملة المفسرة شيء عظيما يعتني به، فلا يقال مثلا:" هو الذباب يطير".[1]

1- إسم الإشارة:

الأصل في أسماء الإشارة أن يشار بها إلى الأشياء المشاهدة المحسوسة، نحو (هذا الفتى أكبر من هذا) واستعماله في غير المشاهدة و غير ما يدركه الحس مجاز لتنزيله منزلة المحسوس المشاهد.[2] وذلك نحو: { وَتِلْكَ الجَنَةُ التي أُورِثْتمُوهَا بمَّا كُنتُم تَعْمَلُون}(الزحرف:72) ونحو أعجبني هذا الرأي فالجنة غير مشاهدة والرأي غير محسوس ولا مشاهد.

[1] د. فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، عمان، ط1، 1420هـ، 2000، ج1، ص 58.

[2] المرجع نفسه، ص 90.

ألفاظ الإشارة:

- **ذا:** وهو المفرد المذكر تلحقه هنا التنبيه في أوله فيكون للقريب نحو:{ وهذَا مَّا لدّي عتيدُ}(ف: 23) وتلحقه كاف الخطاب في آخره فيكون للبعيد نحو: { ذَلكَ رَجْعُ بعيدٌ}.

وأكثر النحاة على أن مراتب الإشارة ثلاث: القرب والوسط والبعد = هذا له علامة بالبعد المكان المتعلق بسياق الحدث التواصلي فللقربى (ذا) وتلحقها ها التنبيه كثيرًا، وللوسطى مع الكاف أي (ذاك)، وللبعدى الكاف مع اللام أي ذلك.

- **ذه وتلك:** ويشار إلى المؤنث القريب بذي، وذه، وتي، وتا، وتلحقها ها التنبيه كثيرا،فيقال هذا وهذه وهاتي وهاتا، قال تعالى: {هذِه ناقَة الله لَكُمْ آيَة} (الأعراف:73) ويشار إلى البعيد بتلك، قال تعالى: {تِلكَ إذًا كرةٌ خاسرة }(النازعات: 12) وقال: أَلَمْ أَنْهَكُمَا عن تِلكُمَا الشجرةِ }(الأعراف:22) .

وتكون للجمع أيضا نقول: " هذه جدور منكسرة " و " تلك النوافذ محطمة " وللمثنى المذكر ذانِ والمؤنث تانِ.

2- الإسم الموصول:

يقسم النحاة الأسماء الموصولة على قسمين : مختص ومشترك فالمختصر ما استعمل لشيء واحد لا يتجاوز إلى غيره هو " الذي " ، "التي " وما تفرع عنهما، فالذي للمفرد المذكر والتي للمفرد المؤنث وهكذا [1].

والمشترك هو ما كان لعدة معان بلفظ واحد كمن وما وأي.

الأسماء الموصولة هي:

– **الذي:** للمفرد المذكر، ويقول النحاة إن (الذي) وأخواته مما فيه أل، إنما وضع توصلا إلى وصف المعارف بالجمل [2] وذلك أنه لا يمكن أن تصف معرفة بالجملة، وإنما تصف بالجملة النكرة المعرفة بالجملة جئت بـ (الذي) فقلت: (رأيت الرجل الذي يضرب أخاه) فتوصلت بـ: الذي إلى وصف الرجل بكونه يضرب أخاه

– **اللذان:** المثنى المذكر قال تعالى: { واللَّذان تأتيانها منكُم فئَاذوهُمَا} (النساء:16)

– **الذين:** لجماعة الذكور ويختص بالعقلاء قال تعالى:{ واللذينَ همْ للزكاة فَاعلونَ} (المؤمنون:4). في حين أن مفرده وهو (الذي) يكون للعاقل وغيره[3] تقول:

---

[1] د. فاضل صالح السمرائي، " معاني النحو" ص 123

[2] المرجع نفسه، ص 123

[3] الأشموني(150/1): التصريح ، (132/1)

(رأيت الرجل الذي زارَكُم) و(قرأت الكتاب الذي اشتريته منك)، وقد تستعمل الذين لما ينزل منزلة العقلاء كقوله تعالى: { إنَّ الذينَ تدْعونَ من دون الله عبادُ أمثالَكُمْ}(الأعراف: 194) فنزل الأصنام لما عبدوها، منزلة من يعقل.[1]

إذن نجد أن الأسماء الموصولة عبارة عن اسم يدل على شيء محدد مذكور قبله ولا يتم معنى العبارة إلا إذا تم ذكر صلة الموصول وهذا ما أكدت عليه الدراسات التداولية في تحديد المعنى المراد له.

3- التداولية في الخطاب النقدي القديم:

لا يبزغ شيء من فراغ إذ لا بد من بدايات تسبق مرحلة الظهور وهذا يشمل جملة الظواهر الطبيعية التي تتعلق بالإنسان واللغة من شؤون الإنسان غير المحسوس، أي المجرد ومن ثم كان اهتمام الإنسان العربي بلغته منذ عهد القديم، التي شكلت كيْنونتَه وعبرت عن دواخل نفسه، ثم جاءت الجهود العلمية التي قدمها اللغويّون العرب القدامى في: النحو، الصرف، والبلاغة إلى غيرها من الحقول المعرفية زادًا معرفيًا أغنى اللغة وزادها ثراءًا، ورافقهم الأصوليون والفقهاء الذين أدركوا قيمة الاعتبارات اللغوية كمدخل لفهم النصوص الشرعية. فَانْتَحوا منحى دراسيا يتجه إلى المعنى والغرض

[1] الهمع (83/1)

"فعالجوا أساليب النصوص الدينية ومعانيها علاجًا تداوليًا، مستثمرين بعض الظواهر والمفاهيم التي لم تتمكن اللسانيات التداولية وفلسفة اللغة من بلورتها إلا حديثا".[1]

يشكل مفهوم " الأفعال الكلامية" مضغة الإهتمام الأولى للتداولين، وإذا نظرنا في التراث العربي سنجدها قد جاءت ضمن نظرية: الخبر والإنشاء فدرس علماء اللّغة ضمن ضوء النظرية ظاهرة الأفعال الكلامية، واستَّنبطوا أفعالاً كلامية جديدة من الأسلاليب الخبرية كما استنبطوا أفعالا كلامية أخرى من الأساليب الإنشائية كما درّسوا اسلوب الإستفهام ومعانيه دراسة عميقة، واستّنبطوا منه فروعًا مهمة من الأفعال الكلامية، وتمثل البلاغة العربية نموذجًا للإلتفاتات التداولية، وإذا أراد الباحث انتقاء مثال منها، فسنجد الجاحظ خير من يمثل هذا النموذج، وتتجلى جذور التداولية عند الجاحظ من خلال تقسيمه للبيّان، ملتفتا إلى وظيفته، بل الإهتمام الأكبر كان بالوظيفة التأثيرية والتي تمثل جانبًا مهمًا في التداولية، يقول الجاحظ: "أما بعد، يمكن إرجاع وظائف البيان اعتمادًا على كل ما سبق، إلى ثلاث وظائف أساسية هي":

1- **الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية:** (حالة حياء، إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام).

2- **الوظيفة التأثيرية:**(حالة الاختلاف) تقديم الأمر على وجه الإستمالة وجلب القلوب.

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة ببيروت الطبعة الأولى، يوليو 2005 ص 171-172.

3- **الوظيفة الحجاجية:** (حالة الخصام) إظهار الأمر على وجه الاجتماع والاضطرار.[1]

ولقد شارك الجاحظ من النقاد القدامى في التوجه التداولي ابن قتيبة الدينوري في مقدمة كتابه "أدب الكتّاب" وذلك في مقولتي الإيجاز والإطناب، يقول (ليْس يجوز لمن قام مقامًا في تحضيض على حرب أو صلّح بين العشائر أن يقلل الكلام ويختصره، ولا لمن كتب إلى عامّة كتابًا في فتح أو استصلاح أن يوجز، ولو كتب كاتب إلى أهل بلد في الدعاء إلى الطاعة والتحذير من المعصية كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان حين بلغة تلكؤ، في بيعته " أما بعد فإني أراك تقدم رِجلاً وتأخر أخرى،فإعتمد أيهما شئت والسلام، لم يعمل هذا الكلام في أنفسها عمله في نفس مروان، ولكن الصواب أن يطيل ويكرر، ويعيد ويبدأ"[2] يعد هذا الحديث " تصور نظري لأجناس الخطاب التواصلي، ذي القيمة التأثيرية التي ينتجها المقام الخطابي والرسائلي في نظرية الأدب عند الغرب، وقد تفطن فيها ابن قتيبة إلى متّانة الصلة بين الغرض القولي(المقصد) والعمل القولي المناسب له"[3]

ترسخ هذه المقدمة رؤية تداولية تؤصل وتبحث عن دور " المقام" في بلّورة الأسس الملائمة لتلقي الخطاب الأدبي، وتعد من اللبنات الأولى في التنظير للفكر اللساني القديم لتداولية الأجناس الأدبية بخاصة والتواصلية بعامة.

---

[1] أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبين، تحقيق عبد السلام مُحَّد هارون، مكتبة الجاحظ، مصر، ط 4، الكتاب الثاني، 1395هـ، 1975م، ط1، ص 75.

[2] ابن قتيبة الدينوري، أدب الكتاب، المقدمة.

[3] صالح بن العادي رمضان، التواصل الأدبي ، ص 24.

وتمثل نظرية " المقام" مقولة مهمة في تحليل الخطاب التداولي، فهي تقوم على مفهوم مراتب التخاطب، أي أنواع المتكلمين في علاقاتهم بأنواع المخاطبين، وما يتطلبه من مظاهر الإنسجام الأسلوبي الذي يراعيه المتكلم حين ينظم جمله وأعماله القولية، ويوجه دلالاتها بحسب صورة المخاطب،وبمقتضى طاقة تقبله، وبحكم موقفه الاجتماعي والثقافي والنفسي زمن التخاطب، وبحكم جنسه وعدده ومعتقده وغاياته، وتصوره للمتكلم، وما يمتلكه من وعي فردي أو جماعي.

1- تداولية الخطاب

أ- الخطاب والسياق: تسعى التداولية الى دراسة الإتصال اللغوي في سياق تخاطبي معين، وهذا السياق يمثل في التداولية مفهومًا إجرائيا مركزياً يساعد على تحليل الخطاب، فمَّا أرسَّاه "جرايس" من شروط لصحة العملية التخاطبية التي تقوم على عملية التفاعل الحواري المتكئ على مبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب، والذي يستند إلى مرجعيات عدة: اجتماعية وعرقية وثقافية، تحاول تشكيل سياق يمكن أن يمثل نصًا مرافقًا، يسهم في انتاج المعنى المراد من الحوار وتحديده[1].

ومما لا شك فيه، أن إظهار البعد الوظيفي أو الإيديولوجي للنص الخطابي، يحيلنا حقًّا إلى فكرة السياق، ويمكننا أن نركز على سياقين أساسيين من أنواع السياق، وهما سياق: الموقف أو مقام والسياق اللغوي [2]، ذلك أن معنى لا ينتج من الكلمة وحدها، وإنما يدخل في شبكة علاقات مع كلمات أخرى تختلف معها، وتتشابه لأداء المعنى التركيبي، أما ما يتعلق بسياق المقام أو الموقف، فهذا

[1] مُحَّد أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 38.

[2] مصطلحات الدلالية العربية، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، سنة 2007، ص 141.

الذي يرتبط بالموقف الذي قيل فيه الكلام، بمعنى أن المقام يكون حينئذٍ مقام التلفظ، وهو يتعلق بالظروف الخارجية للموقف الذي تقع فيه الكلمة.

لكي نتبين علاقة الخطاب بالسياق، ينبغي أن تعرف البنيَّة الأخيرة، كما نتعرف على بنية الخطاب، والسياق هو تجريد للموقف التواصلي، والذي يتضمن عناصر عدة تحدد بشكل منظم قبول النص أو رفضه، كفاءته أو عجزه، ملائمته أو منافرته".[1]

فالعلاقة وطيدة بين الخطاب والسياق، وهي نتيجة الموقف التواصلي الذي خاطب فيه المتكلم المخاطب مريدًا من خطابه تحقيق قصد معين، ومن هنا يؤدي السيّاق أثرا فاعلا في العملية التخاطبية، بوصفه أداة مهمة تساعد في الكشف عن مقاصد المتكلم، وتوضيح نواياه الظاهرة والخفية بغية إفادة المخاطب المعنى الذي يتوخاه من الخطاب.

أن تحليل السياق في النظرية التداولية يعتمد على المعرفة الموسوعية التي نتوصل إليها خلال مفاهيم الصيغة المنطقية من المعطيات التي يمكن إدراكها مباشرة من المقام، فالانتقال من المقاصد الإجمالية يتم نمطيا عبر نظرية الفكر: إذْ يفترض أن كل متلفظ يخاطبنا يسعى حتما إلى تبليغ رسالة هي مقصده الإجمالي.

فالإعتناء بمقام الملفوظ من اهتمامات الدرس التداولي، وانطلاقا من هذه الوظيفة رأي "ديكرو" أنَّ " التداولية تدرس كل ما في معنى الملفوظ المرتبط بالمقام الذي قيل فيه ولا بالتركيب اللساني الذي

[1] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط1، سنة 2004، ص 32.

استعمل فيه[1]. ويمكن أن تمثل الأساليب التخيُليَة أمثلة مهمة وفاعلة في اظهار السياق فالثقافي في تكوين المعنى المراد، لأنها تمثل سياقات محددة، تتأثر بالعرف الإجتماعي والثقافي في تكوين المعنى المراد. لأنها تمثل سياقات محددة بالعرف الإجتماعي والثقافي في السائد الذي يساعد على تحقيق التواصل التخاطبي بأسلوب تعاوني، كما يعمل على تحقيق التواصل التخاطبي بأسلوب تعاوني، كما يعمل على تحقيق الهدف من الخطاب الذي يخضع لمواصفات ومحددات ثقافية واجتماعية يحددها العرف السائد والاستعمال اللغوي، ويهد مفهوم السياق المقام[2]، من المفاهيم التي أسالت الكثير من الحبر في الدرس العربي القديم، وتحققت لدى العرب القدامى جميع خيوطها، وبرزت عناصر هذه النظرية في مجموعة من القضايا اللغوية وغير اللغوية التي يمكن أن تجمل ما يلي:

- النظرات النقدية عندهم في الشعر والشعراء.
- بحوثهم البلاغية وحديثهم عما يسمى بمطابقة الكلام لمقتضى الحال.
- الدراسات القرآنية التي كان أساسها فهم القرآن الكريم:

فقد اقتضت العناية به الخوض في مسائل لغوية متعددة بتعدد العلوم القرآنية، وهذا ما نجده مثلاً عند عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، والجاحظ في البيان والتبّين وفخر الدين الرازي في التفسير الكبير والسكاكي في مفتاح العلوم، وخاصة الكتب الأصولية منها.

[1] المرجع نفسه، ص 77.

[2] أن ربول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ص 77.

وقد أخذ المفهوم في التبلور على يدي الجاحظ في البيان والتبين فأرسَّى بلاغة المقام: وقعد قواعده، والتي تقوم على مراعاة الجانب النفعي الإقتناعي الخطابي، وهو يرادف في التداولية مفهوم الكفاية التواصلية، فبأي شيء أدركت المعنى، فذلك هو البيان" فإدراك المقام لدى الجاحظ ملكة تواصلية، تختص بالسياق الذي تنجز فيه الأعمال اللغوية ذات السمة التفاعلية الاجتماعية كالإيجاز والإطناب، والتوبيخ والشكر والإعتذار والعتاب.

وينتهج الزمخشري والجرجاني نفس النهج الجاحظي في تغليب بلاغة التلفظ، أي الآليات التي يستعملها كل متكلم بحسب المقام الذي يتكلم فيه، وقد يخلو الخطاب من الأساليب البيانية والإيقاعية، لكنه يحقق نجاعته بمراعاة المقام، والمتكلم يختار ألفاظه وينظم تراكيبه ويوجه دلالاتها بحسب صورة المخاطب، وبمقتضى تقبله، وبطبيعة موقعه الإجتماعي والثقافي وبمراعاة حالته النفسية زمن التخاطب، وبحكم جنسه وعدده واتجاهه الفكري وغاياته وتصوره للمتكلم، ووعيه الفردي والجمعي.

1- الخطاب في ذاته:

أ- **نظرية التلفظ مفهوم التلفظ:** إن لمقولة التلفظ أو التخاطب في الدرس التداولي، أهمية قصوى، بإعتبارها الجهة التي يدرك من خلالها المتكلم العالم باستعماله للغة، " فالتلفظ هو تمثيل الواقع باللغة جهة المتكلم ومن منظور المخاطب"[1]، ويرى اللساني بنفيست" أن التلفظ هو تطبيق اللغة في

[1] الجاحظ، البيان والتبين 23/1.

الميدان عن طريق عملية استعمال فردية لها"[1]. وإذا كان بنفيست لا يهتم بطرف المتلفظ، فإن التداوليين يتسع لديهم المفهوم ليشمل الطرف المشارك للمتلفظ في عملية التواصل، فالتلفظ أو التخاطب هو العمل الفردي، الذي ينجز في اللغة لإنتاج ملفوظ من الملفوظات في ظرف مخصوص،ويتجه إلى المخاطب مخصوص، واستراتيجيات المتكلم في كل جنس أدبي: شعرا أو نثرًا، هي آثار التخاطب في ذلك اللون الأدبي، وكما قلنا سابقا إن الخطاب هو نتاج قصدية للمتكلم، فإن غاية المتكلم أثناء مخاطبته للآخر، أن تنسجم مقاصده بالأساليب التي يصوغ عليها ملفوظاته فلا يمكن أن نجد متكلمًا يقصد التأثير في الآخر لا يتبنى استراتيجية معينة يفرضها عليه المقام التبليغي ومختلف سياقاته، فالمتكلم يلجأ إلى تبني بعض الأساليب الكلامية من أجل تحقيق غايته التأثيرية.

ب- أوضاع التلفظ:

ينظر إلى الخطاب من وجهة نظر تداولية لبيان وجهة التلفظ والتخاطب، فالخطيب يحول وجهته من مخاطب إلى آخر، فتتغير أوضاع التلفظ، وأوضاع المتخاطبين، " ولا يخلو أي جنس أدبي مهما تكن درجة أحادية الصوت فيه من تصرف يجريه منتج الخطاب، سواء مباشرة أو بقناع نسميه في الخطاب السردي راويًا، وفي الخطاب الرسائلي، مترسلاً وفي الخطابة خطيبًا، وفي الخطاب المسرحي شخصًا ممثلاً،[2] ويمكن أن نقسم أوضاع التلفظ إلى نوع متصل بأوضاع منتج الكلام، ونوع متعلق بملتقيه.

[1] صالح بن الهادي رمضان، التواصل، ص 99.

[2] صالح بن الهادي رمضان، التواصل الأدبي، ص 1-2.

ج- أوضاع المتلفظ (المتكلم والمتلفظ):

إن أوضاع التلفظ من جهة منتج الكلام (المتكلم معقدة، وذلك لأن تنوع البنى الصرفية والنحوية)"[1] وفي النص (الخطاب إنما جاءته لتسهم في تدقيق أوضعا التلفظ غير محددة، وغير قارة،بل تختلف باختلاف العلاقات بينه وبين المفاهيم المجاورة له، كالذات المتكلمة، أو جهة النظر.

وتجدر الإشارة إلى الإهتمام بالمتلفظ نظريًا، هو المتلفظ في حال التواصل أو في الخطاب الأدبي لذا لا بّد من التفرقة بين التلفظ والتكلم، فالأول هو إحداث الأثر الذاتي في الكلام فالمتلفظ يحتمل مسؤولية إنتاج الخطاب بنية ودلالة، ويضع على عاتق المخاطب مسؤولية الرأي الذي يصدره وعليه فإن أي خطاب يبتعد عن الارتباط بظروف التلفظ والمقام كالخطاب العلمي، والتقارير واللوائح...إلخ فإنه يتلخص تمامًا من آثار التلفظ أو من آثار الذات المتلفظة أو الذاتية في اللغة لأن متكلم لا يسعى عبر أساليب مختلفة إلى توجيه الدلالة إلى التأثير في المخاطب.

د- أوضاع المتلفظ: المخاطب والمتلفَّظ:

إن أوضاع تلقي الخطاب ليست بأقل تعقيدًا من أوضاع التلفظ به، وذلك لأن المخاطب ذات لها حضورها في الخطاب، موجهه له محددة لمضامينه وأشكاله، مؤثرة في أعماله القولية فالمتكلم/الخطيب،يمكن أن ينتقل من مخاطب إلى سواه في الخطبة الواحدة، والمخاطب حاضر في الخطاب من خلال عناصر متعددة، منها: ضمائر الخطاب، المنادى (خليلي عوجًا..كتاب

[1] المرجع نفسه، ص 4.

إليك...) والأقوال الحوارية المنسوبة إليه (قلتُ ، قلتَ) وأساليب الدعاء وصيغ الأفعال (أفعال الأمر والنهي)[1]، وليس للمخاطب صورة واحدة في كل الخطاب بل يتجدد ضروب الالتفات وأنواع الأغراض، وقد ينتقد المتكلم صيغة الجمع، ليجمع بينه وبين المخاطب ليشعره مثلاً بأنه طرف في بناء فكرة ما، أو ليحتله وزْر عمل الأعمال...إلخ وهكذا تعد دراسة ضمائر الخطاب[2] من أهم مداخل تحليل أوضاع المتلفظ، المخاطب والمتلفظ، وللوصول إلى تحليل القيم التداولية في التواصل الأدبي.

ر- مرجعيات التلفظ:

يمكن تعريف مرجعيات التلفظ بأنها " علامات تحليل إلى ملفوظيتها ومرجعيات التلفظ تفترض وجود متكلم، ومخاطب، وزمان ومكان معينات، ولكل عنصر منها له إشاراته المحددة له: " أنا- أنت- هنا-الآن، عبارة عن كلمات تشير، من داخل الملفوظ إلى تلك العناصر الأساسية المكونة للملفوظية"[3].

وتحتل دراسة المرجعيات مكانة مهمة لمسألة: الشخص (متكلم، مخاطب) وزمن الملفوظ ومكانه، وتتمثل تلك المرجعيات في الإشاريات مثل: أسماء الإشارة، وأسماء الموصول، والضمائر وظروف الزمان والمكان وغيرها من العلاقات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا من سياق الخطاب، فلا دور في الإحالة إلى المعلومات (الإشارات) هذه الأشكال هي التي " ترتبط بسياق المتكلم مع

[1] صالح بن الهادي رمضان، التواصل الأدبي، ص 107.

[2] جان سرفوني، الملفوظية، ص 27.

[3] المرجع السابق.

تفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية ذات الإشارة القريبة من المتكلم، مقابل العبارة، وإذا كان المتكلم غرض ينبغي بموجبه أن يشكل المخاطب بموجبه هذه المعرفة"[1].

كما تشكل الدلالات الإيحائية جزءًا من أوجه اللغة التي يصعب الإحاطة بها، ويبدو ذلك من خلال العلاقات القائمة بين الإفتراض المسبق وذاتية المتكلم، فالإفتراض المسبق هو فعل الذي يفرض المتكلم من خلاله على المخاطب عالمٍ من الخطاب ويتجلى الافتراض المسبق في كل مكان في الخطاب كالمعجم والتركيب، لذا يفتقر إلى علاقات تسهل تحديده.

[1] المرجع السابق.

خلاصة الفصل:

إن البلاغة تهتم بمقتضى الحال وسياق الموقف وتهدف إلى التأثير في المتلقّى وإقناعه: فهي بذلك: تداولية في صميمها، إذا إنّها ممارسة الإتصال بين المتكلم والسامع بحيث يُحلاَّن إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما، ولذلك فإنَّ البلاغة والتداولية البراغماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي.

حيث اهتَّم النُّحاة بالعلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب وأدركوا أثرها في تحقيق فائدة الكلام وتحقيق التواصل، فإهتموا بالمتكلم ومقاصده، وبالمخاطب وما يستفيده كما أنّهُم لم يعملوا ظروف وملابسات الحدث الكلامي وما يصاحبه من أحوال ومقامات.

تسعى التداولية إلى دراسة الإتصال اللغوي في سياق تخاطبي معين وهذا السياق يمثل في التداولية مفهومًا إجرائيًا مركزيا يساعد عل تحليل الخطاب.

الخـــاتمة

وفي الأخير يمكننا إجمال النتائج المستوحاة من هذه الدراسة الهادفة إلى بيان الأبعاد التداولية في التراث اللغوي العربي في النقاط الآتية:

- إن اللغويين العرب القدماء، قد تناولوا بالدراسة والتحليل المستفيض أهم القضايا التي تطرق إليها البحث اللساني المعاصر.
- إن البلاغة العربية في دراستها للخطابات المتنوعة دينية أو أدبية (شعر وخطابة) اهتمت بقديم توصيف لعناصر العملية التواصلية (متكلم وسامع ورسالة ومقام ومرجع وحتى القناة التواصلية) وفي إطار هذا التوصيف عنيت بمقاصد الخطاب وأحوال المتلقين له، وشروط الخطاب الناجع الذي يحقق الفائدة لدى المتلقي، المؤشرات اللغوية وغير اللغوية المتحكمة في ذلك، مما أكسب البلاغة العربية أبعادًا لسانية تداولية مهمة، تضمن لها التواصل المعرفي مع معطيات الدرس الحديث والمعاصر.
- يحتاج تراثنا اللغوي العربي إلى تصفح دائم، وإعادة نظر براغماتية تداولية يتم من خلالها إعادة تعيين محتوياته بما يتماشى مع المرحلة الحالية.
  - وجود عدة علاقات للتداولية بالعلوم الأخرى ودراستها للّغة.
  - الأمر الذي يأخذنا لقول أنه لا سبيل لتأسيس نظرية لسانية عربية خالصة، دون الإتكاء على التراث واستلهَّام اجراءاته التطبيقية في دراسة لغتنا العربية، دون غض النظر في المداوين الإجرائية التي جاءت بها النظرية التداولية.

وفي الختام نسأل الله تعالى التوفيق والسداد

ملخص:

أبدع اللّغويون العرب القدامى في دراسة لغتهم والسعي حثيثا للإلمام بمختلف جوانبها فخلفوا لنا تراثا لغويًا على درجة عالية من الدقة العلمية والمنهجية، يضاهي من حيث قيمته ومكانته الإنتاج اللساني الغربي الحديث بل يتفوق عليه في بعض الأحيان، لذلك يهدف هذا المنجز إلى معرفة جذور اللّسانيات التداولية في التراث اللغوي العربي من خلال نصوص عينة من العلماء العرب ومعرفة مدى اهتمام اللغوين العرب بقضايا الإستعمال اللغوي وأطراف حال الحدث الكلامي في الدراسة اللغوية.

وقد تناول اللغويون بالدراسة والتحليل المستفيض أهم القضايا التي تطرق إليها البحث اللّساني المعاصر، وما تتشاركه مع البلاغة العربية القديمة، التي تتداخل مع البحث التداولي، وعليه فإنّ تراثنا اللغوي العربي يحتاج إلى بحث وتنقيب عميقين، يتم من خلالهما إعادة محتوياته بما يتماشى مع الدّرس اللغوي المعاصر.

Abstract :

The ancient Arab linguists excelled in studying their language and striving diligently to master its various aspects. They left us with a linguistic heritage with a high degree of scientific and methodological accuracy, comparable in value and status to modern Western linguistic product۲ion and sometimes superior to it. Therefore, this achievement aims to know the roots of pragmatic linguistics in the Arab linguistic heritage through the texts of a sample of Arab scholars and to know the extent of Arab linguists' interest in issues of linguistic use and the aspects of the situation of speech events in linguistic study.

Linguists have studied and analyzed extensively the most important issues touched upon by contemporary linguistic research, and what it shares with ancient Arabic rhetoric, which overlaps with pragmatic research. Accordingly, our Arabic linguistic heritage needs deep research and exploration, through which its contents can be restored in line with the contemporary linguistic lesson.

قائمة المصـــــادر والمـــراجع

المصادر والمراجع:

1- باللغة العربية:

- ابن الأثير، يمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، القاهرة، مصر 1939، ج2.

- ابن الجني، الخصائص، ج2.

- ابن قتيبة الدينوري، أدب الكتاب، المقدمة.

- ابن منظور: لسان العرب دار صادر، بيروت، المجلد 11، ط3، 1994.

- ابن هشام الأنصاري (ت761هـ)، أوضح المسالك التي ألفيته ابن مالك، تحقيق مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد منشورات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، د ط، د ت، ج4.

- أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبين، تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الجاحظ،مصر، ط 4، الكتاب الثاني، 1395هـ، 1975م، ط1.

- أساس البلاغة: تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية بيروت،ط1، 1998م، ج1.

- الأشموني(150/1)

- أن ربول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل.

- الرضى الاستراباذي: شرح الكافية، تحقيق حسن بن مُحَمَّد ابراهيم الحفظي، نشر وطباعة جامعة الإمام مُحَمَّد بن مسعود، الرياض، السعودية، ط1، 1993..

- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار الترك، القاهرة، مصر، د ط، ج3.

- السكاكي، مفتاح العلوم.

- الطاهر بوصيف، التداولية، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 17 جانفي 2006.

- طه عبد الرحمان: تجديد المنهج في تقويم التراث.

- بن زحاف يوسف، " دروس في اللسانيات التداولية "، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع 57،شارع مُحَمَّد خميستي، بوقيراط مستغانم (الجزائر)، ط1، 2020.

- بول ريكور: نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط2، 2006 .

- تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء، ط8 .

- تداولية اللغة بين الدلالية والسياق، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والنقدية لترقية اللغة العربية، الجزائر، العدد 10، 2005 .

- التصريح ، (132/1)

- جورج مولينيه: الأسلوبية ترجمة: بسام حركة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ، 2006م

- حفناوي بعلي: التداولية ... البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 17، جانفي 2006.

- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1 ،2009.

- د. بن زحاف يوسف، " دروس في اللسانيات التداولية، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع 57، شارع مُحَّد خميستي، بوقيراط مستغانم، الجزائر، ط1، 2020 ص 34.

- د. عزمي إسلام، لدفيج فتجنشتين، دار المعارف، القاهرة.

- د. فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، عمان، ط1، 1420هـ، 2000، ج1.

- زكي نجيب محمود، خرافة الميتافيزيقا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1953.

- صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، لبنان الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ط1، 1993

- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط1، سنة 2004.

- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000.

- عبد السلام مُحَّد هارون، " الأساليب الإنشائية في النحو العربي"، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة،ط5، 1421هـ، 2001.

- عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تر: مُحَّد شاكر أبو فهر، دار المدني بجدة، بالقاهرة، ط3، 1431هـ، 1995م.

- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز.

- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد.

- عمايرة خليل، أسلوب التوكيد اللغوي منهج وصفي في التحليل اللغوي، (دار الفكر، عمان، الأردن، د.ت) .

- عيسى تومي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية في اللسانيات واللغة العربية، 1435هـ/1436هـ، دط.

- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1986 .

- القرآن الكريم

- لود فيج فنجنشتين: رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1968.

- مُحَّد أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر.

- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاسيكية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2005.

- مسعود صحراوي: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان: التداوليات، علم استعمال اللغة بإشراف حافظ إسماعيل علوي الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2014.

- مغني االلبيب، ج2، ص 494-495، كتاب – سيبويه (1)355.

- الهمع (1-83)

- ينظر الشعري: استراتيجيات الخطاب.

- ينظر أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات) ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 1991.

- ينظر فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان

2- المراجع بالفرنسية:

1. Jean dubois et des autres, dictionnaire de linguistique, libraire laross, Parie 1973.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	ج
مقدمة	أ- د
الفصل الأول: إطار النظري لدرس التداولي	
تمهيد.....	3
المفهوم اللغوي والإصطلاحي للتداولية.....	3
الروافد المعرفية للنظرية التداولية	10
نظرية الأفعال الكلامية	14
العلائق المعرفية التداولية	22
خلاصة.....	28
الفصل الثاني: مظاهر الدرس التداولي في الدرس اللغوي .	
1- في البلاغة	29
تمهيد.....	29
ثنائية الخبر والإنشاء عند السكاكي	29
المعاني المستلزمة عن الأسلوب الخبري.....	29
الخبر والإنشاء.....	30
المخاطب وأثره في توكيد الخبر (أضرب الخبر عند البلاغيين العرب)	32
مفهوم التوكيد.....	32
أسلوب التقديم والتأخير.....	34
أسلوب الحذف.....	36
أسلوب الإلتفات.....	37
2-في النحو	39

فعل التأكيد..... 39
فعل الإغراء والتحذير 40
فعل الإستغاثة والندبة 42
الضمير 44
إسم الإشارة 45
الإسم الموصول 47
3-التداولية في الخطاب النقدي القديم..... 48
الخطاب والسياق 51
نظرية التلفظ..... 54
أوضاع التلفظ..... 55
أوضاع المتلفظ (المتكلم والمتلفظ) 56
أوضاع المتلفظ (المخاطب والمتلفظ) 56
مرجعيات التلفظ 57
خلاصة الفصل..... 59
خاتمة 61
ملخص..... 62
قائمة المصادر والمراجع..... 63
فهرس الموضوعات 69